

عادل زعيتر

أهـب الترجمة

بقلم: راضى صدوق

قدم العلامة فقيـد العلم والحق المرحوم عادل زعيتـر ، لامته ، بقلبه الدليـغ الرصين أروع ما فيـنـافس الفكر الأوروبـي من آثار مونتسكيو وروسو وفولتير ولوبون ولونـديغ وسيدو واناـتول فرانسـيـس وديـرمفـم . فقد نقل إلى العربية خلال ثلث قرن ، هو زهرة شبابيه ، ستة وثلاثين مجلدا من نخائر الفكر العالمي دون أن يطمع في مؤبـة أو جاء .

يعد جهده بالساعات :

وكان رحمه الله ذا مقدرة على الدأب والاستغراق في العمل ، بصبر وأناة قل أن نجد لها عند انسان ، فكثيرا ما كان يشرع في الترجمة مع شروق الشمس فلا يضع القلم الا والشمس جاتحة الى المغرب ، دون أن يتزود بقليل من زاد او بلفـة . وهو في ذلك يعد جهده بالساعات والدقائق ، حريص على أن لا تنفـتـه ثانية من الوقت ، دون أن يترجم فيها ولو كلمة واحدة حتى انه ليحدثك بأنه قضى الفين وخمسمائة ساعة في ترجمة « نابليون » وقضى ثلاثة الاف ساعة في نقل « حضارات الهند » وانتقل له خمسة اشهر ، كما قضى سبعمائة ساعة في نقل « الالهة عطاش » .

فرحتان :

ويحدثنا الأستاذ اكـرم زعيتـر شقيق العلامة الكبير عن ولع عادل بالترجمة فيقول : ولعادل زعيتـر في عالمه فرحتان ، اولهما يوم يتجزـ ترجمة الكتاب ، وثانيهما ساعة الفراغ من طبعه ، وتكون الفرحة الثانية على قدر الانتان في الطبع والجودة . وفي الورق والنقـاشـة في الاخراج . وفي كل عام كانت لعادل زعيتـر رحلة الى

أمة في فرد :

ولعل العربية منذ عصر المأمون العباسي الى يومنا هذا ، لم تعرف مترجما رفـدها بخير ما انتجته قرائح جهادة الفكر العالمي مثل عادل زعيتـر . فقد رصد باكورة عمره ليقدم اعظم خدمة يمكن أن يؤديها فرد الى أمة . بل لقد قام ، بمفرده ، بما تمجـ عنه المجاهد العلمي والحكومة والهيئات الثقافية . وهذه آثاره المنقولة تنوف على خمسة وثلاثين مجلدا من أوابد الكتب الغربية المخلدة ، لا يمكن لاحد ان يتصدى لترجمتها الا اذا كان وافر الذخيرة من فلسفة وعلم واجتماع وتاريخ ، كل هذه الاثار نقلها في دقة وأمانة وبأسلوب عربي رصين لا يتأنى الا للمؤثـلين في اللغة .

صوفيـة :

لقد كان عادل زعيتـر اول مترجم يعزف عن بهارج الدنيا ، وزخارف الحياة ، لينفرغ للترجمة على انها مصدر هوائيه وحياته وعيشه ، اذ ضحى بهنته — المحاماة — لميـارس الترجمة ، كما اضطر ان يبيع ارضا له حتى تكتـل له اسباب الحياة الحرة الكريمة ، قبل ان يموت بأيام .

سيرته :

ولد عادل زعيتـر في مدينة نابلس سنة ١٨٩٧ ميلادية واثم فيها دراسته الابتدائية ، وانجز دراسته الاعادية في بيروت . وحصل الاداب في الكلية السلطانية بالاستانة . وفي سنة ١٩٢٠ التحق بكلية الحقوق في جامعة باريس ، وكان من زملائه هناك السادة عبد الله اليامي ، حبيب ابو شهلا ، محسن البرازي ، عمر الفاخوري ، محبي الدين النصولي ، عبد الله المشنوق ، جعفر الجزائري ، وموفق الالوسي .

وفي سنة ١٩٢٥ نال شهادة الحقوق وعاد الى فلسطين ليصبح محاميا من اقدر محاميهـا ، ودرس من سنة ١٩٢٧ الى سنة ١٩٣٦ الفقه الدستوري والدولي والاقتصاد السياسي والمالي وقانون المرافعات المدنية والجزائية في معهد الحقوق في القدس . ويعتبر كثيرون من اعلام المحاماة في الاردن من تلاميذه ، وقد مثل نابلس في جميع المؤتمرات الوطنية . واستقال من التدريس في معهد الحقوق وانقطع الى العلم والادب والسياسة الخالية ، وانكب على اداء اخـم رسالة ثقافية يمكن للانسان ان يقدمها الى امته .

القاهرة تكون في الشتاء ، يحمل معه حقيبة الجهد السنوي ، وهناك يكتب للأشراف بنفسه على الطبع ، ويصحح التجارب (البروفات) أكثر من مرة ، ويبدل في هذا جهودا مضنية .

لغوي ضليح :

وكان عادل يفتن الفرنسية والتركية ، ويلم بالانجليزية الملما طليا . اما العربية فهو فيها بحس زاخر يكاد يقف على ادق اسرارها كأي لغوي ضليح ، وكان يحرص على صحة لغته حديثا وكلاسيكيا ، يعنى بتشكيل كثير من الكلمات التي يحتل الالتباس في صحة لفظها ، فكم من فائدة يجنيها قارئ كتبه ، فهو يقول « المنحف » بضم الميم لا بفتحها كما هو مألوف و « المير » او « المطر » بضم الميم بدلا من « المطار » بفتح الميم . وكلاسي بدلا من « كلاسيكي » و « دبلي » بدلا من « ديبلوماسي » لانه لا يجوز ان تكرر اداة النسبة ، والاسلم من الماس .

ويذكر الاستاذ عبد الله المشنوق ان عادل - عندما كانا زميلين في جامعة باريس - اطلعه ذات يوم على ترجمته لغوستاف لوبون فانتقد المشنوق جملة من جبل كتبه فوافق على ذلك ، وحوالي الساعة الواحدة ليلا والمشنوق يغط في نوم عميق في الفندق ، اذا باب الغرفة يقرع فيهيب من نومه مذعورا ، واذا بعادل يطل عليه بابتسامة الظاهر ويتقول : « انت مخطئ ، وانا مصيب » . فرد عبد الله معاتباً : « ألم يكن بوسعك ان تترك هذا التصويب الى الصباح ؟ » وبالإضافة الى حرصه على سلامة لغته وانتائها كان يدخل فيها يكتب كلمات غير مألوفة ، تانبه عقول الخاطر بغية تطعيم اللغة بكلمات نادرة على الا تكون نابية .

دقة وإمالة :

وعادل في ترجمته مفرط في الدقة والإمانة ، وكان يقول دائما : ان

بغيتة العليا في الترجمة ، ان يحاكي الاصل الفرنسي متانة اسلوب ، وروعة اداء . كما كان يحرص على ايراد النصوص الاصلية للمقدمات ، مهما كلفه ذلك من جهد ومال . فاعتدنا بترجم كتاب « حضارات الهند » اتصل بالعلامة الهندي المرحوم عبد الرحمن صديقي يستعينه في نقل الاسماء الاربدة مثل « بدعة » بدلا من « بوذا » و « هماليه » بدلا من « هيمالايا » و « دهلي » بدلا من « دلهي » .

وعندما ترجم « النيل » حاول عبثا معرفة نص اهزوجة دارجة قديمة كان ابناء النوبة يرددونها لان لودفيج ترجمها في كتابه ، وكتائب العلامة الاب فتواني الدومينكاني للتحقق من صحة بعض الاسماء ، واتصل بائمة الاديان وزار الاديرة والكنائس لتحقيق نصوص فقهية ودينية ، وراجع الترجمات العربية لرباعيات الخيام في سبيل نقل آيات منها ، ثم اتر ان يترجمها هو نثرا ، لان ذلك في رايه ادعى الى الصحة للترجمة الجوفية . وكثيرون انتقدوه لحرصه على استعمال التراكمات اللغوية الجزلة ، والافعال الشايخة الاصلية ، وكان رايه دائما : ان الاديب هو الذي لا يزل الى القارئ ، بل يحرص على ان يرتفع اليه القارئ .

ينقم من طه حسين :

وكثيرا ما كان عادل زعيتر يدخل في مساجلات ومناقشات ادبية وعلية مع ادباء الطليعة مثل طه حسين والدكتور احمد فؤاد الاهواني . فقد صادف ان ظهرت ، في شهر واحد ترجمتان لكتاب « نابليون » للكاتيب الالماني ايل لودفيغ ، ترجمة عادل زعيتر ، وترجمة محمود ابراهيم الدسوقي تليذ الدكتور طه حسين . فكتب طه بيفضل الترجمة التي اخرجها تليذه ويفمز ترجمة عادل زعيتر .

وكان الدكتور طه مغرضا في ذلك وكان متجنبيا ، وهنا غضب عادل واقسم على الانتقام ... وقد نفذ هذا الانتقام بعد عام واحد ، اذ ترجم كتاب روح التربية لغوستاف لوبون الذي لخصه الدكتور طه حسين قبل ثلث قرن تليخسا مختصرا لا يكاد يبلغ الربع من الاصل حتى ان الدكتور لوبون نفسه انكره على كتابه .

جسود الشرق :

وعلى ما قدم عادل زعيتر لامتته من خدمات عظيمة جليلة الا انه - شأن كل مفكر واديب مفلق في الشرق - لم يقدر حق قدره . وكان رحمه الله ، يحس بهذا الجحود ، ويفاتح به شقيقه اكرم ، وكثيرا ما كان يردد :

**فان تسال الايام ما اسمي ؟ ما دورتي
واين مكاني ؟ ما عرفن مكائيا**
لقد عاش عادل زعيتر غربيا فسي امته ، ولم تجده الا بعد وفاته فحق فيه قول الامام محمد عبده : « الاديب في الشرق يموت حيا ويحيى ميتا » .

هل من مترجم :

وبعد ، هذه سيرة رائد من رواد الترجمة الاوائل منذ عرفت العربية الترجمة والنقل . مات وهو يتنى على الموت ان يمله سنوات ليهيب لامتته اكثر مما وهب . فقد كان واضعا نصب عينيه ترجمة عدة كتب الى لغة الضاد من مثل « سير البطال » لبلوتراخ و « تدهور الفرس » (1) لشينجلر و « السلطنة » تاليف برتران دوجو فنيسل و « تاريخ الاندلس » للمبشر لوبي برونسل و « الشهداء » لسانوبريان و « المحمدية والمبقرية والسايبة والمبقرية الارية في الاسلام » للبارون كراوفو .

(1) هذا الكتاب ترجمه الى العربية مؤخرًا الأستاذ احمد الشيباني في ثلاثة اجزاء . (الكتاب)

ايها المحتفلون الكرام ،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

يسرني باسم رابطة الادباء الكويتيين ، وباسم
الكلمة الحرة في هذا البلد ان نشارككم بمشاعرنا ذكري
الاحتفال بمرور اكثر من تسعين عاما على ميلاد زعيم
الهند العظيم (المهاتما غاندي) .

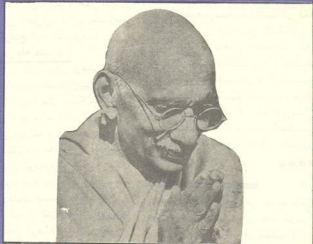
ان غاندي ليس زعيم شعب وحده ولا قائد امة
بفردتها ، بل هو زعيم انساني كبير تمجد في شخصه
معنى الحرية والكرامة الانسانية التي عاش من اجلها
وقتل في سبيلها .

ايها المحتفلون الكرام ،

ان المهاتما غاندي الذي اعطى للانسانية المستضعفة
مثلا من نفسه في استرداد حقوقها المسلوقة . فكان
خير قائد لاعظم ثورة قامت في القرن العشرين فالهم
شعوب الارض معنى الحرية والثورة على الظلم ،
فحررت الشعوب ونالت حرياتها بفضل اعماله العظيمة
ومآثره الجليلة ، فله من كل حر ثائر وشهيد بطل كل
تحية وتقدير .

وختاما لا يسعني الا ان اشكر الجالية الهندية التي
اتاحت لنا المشاركة والمساهمة في هذا الاحتفال العظيم
الذي هو تعبير عن تعاطف الشعوب وتبادل القلوب
في معنى الحرية والكرامة والتبذل .
ويسرني ان اتي على مسامحتكم هذه القصيدة تحية
لهذا البطل العظيم : —

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>



عبد الله سنان

« القيت هذه القصيدة في الحفلة التي أقامتها الجالية
الهندية بمناسبة عيد ميلاد المهاتما غاندي . وقد شاركت
بها رابطة الادباء الكويتيين وذلك في ٢ - ١٠ - ١٩٦٦ »



وانت بعيد جلاءهم من ارضكم
مصر الحبيبة والعراق تباعا
شالت نعمتهم وقد حملوا على
اكتافهم قارورة وماعا
* * *

والله لم تلتد الحرائر يوما
حرا (غاندي) للجهاد شجاعا
نادى فائق (نثرشلا) في لندن
ودعا فعم دعاؤه الاصقاعا
واقض مضجع كل غربي فمعا
يلقاه الا خائف مرناعا
حتى استرد كرامة مهدورة
وشفى القلوب واذهب الاوجاعا
واعاد للانسان انسانيته
هدرت وحقا للبلاد مضاعا
* * *

يا ايها الرجل العظيم وصاحب
القلب الكبير اضاءتها اشعاعا
لك في القلوب محبة الانسان لـلا
نسان لما تبرح الاضلاعـا
نكراك خالدة على طول الـدى
بين العوالم ترفض الاقلاعا

اذهبت روحك في البلاد شعاعا
ومشيت في الجمع الفقير مطاعا
دوى نـداؤك في المدائن والقـرى
فتقاطرت تلك الجوع سراعـا
ان سرت ساروا او وقفت توقـوا
او قلت اصقوا نخوك الاسـهـاعـا
او صمت صام القطر قاطبة وان
اقتطرت افطر وازدري الاوضاعـا
ما اوصدوا بابا بوجه موارب
الا وكنت لبابهم مصراعـا
اقسمت انك للبلاد محرر
ولسوف تبقى ما حييت دفاعـا
ولقد رايتك في المسيرة رافعـا
يدك التحيلة تنذر الاقطاعـا
ودعوت شعبك ان يكون مثابرا
ويقاطع المستعمر الخداعـا
قلت اصبروا متجلدين بها على
شظف المعيشة واركلوا الاطعـا
ولكم صرخت باوجه المستعمر
ين : ان اخرجوا ، لسنا لكم اتباعـا
ووقفت للدخلاء وقفة حازم
حتى تركت عصيهم مناعـا
* * *

كانت بلادك درة في ناجهم
فنزعتها من هامه فتداعى



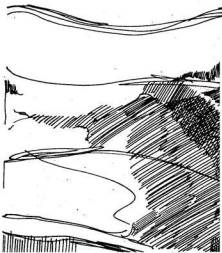
لـرففتها

ARCHIVE
http://archive.bakhril.com

قصة بقلم

فرمان راشد الفرمان

في ظهرة ذات صيف ، والشمس يلثمسون الراحة في منازلهم ، كانت مستلقية على ظهرها تريد ان تلغو لملها تنعم بنسب من الهدوء والراحة ، غير انها لم تتمكن ، فازاحت يديها المملدة الخفيفة التي كانت تغطي بها وجهها وفتحت عينها في تباطؤ وكسل ، حيث بدأت الافكار المتناثرة واشتات الذكريات البعيدة تتجمع في رأسها الصغير ، وقبل ان تلتئم لتبدو صورا متحركة واضحة المعالم ترى صورة اثر صورة ، تمر كالشريط السينمائي ، راحت تنفص بعينيها قوائم (اللويان) الستة وكانها لم تشاهدهم من قبل ، ثم حولت نظراتها وتركها تستقر على السقف وراحت تحصي خشباته مرة وثانية وثالثة ، وكانها تريد ان تتأكد ان عددها لم يتغير ، وبعد لحظات ادارتهما على الجدران واخذت تنفرس جيدا ، فوجدت بنظراتها القاحصة ان الطلاء الجديد الذي طليت به ، والقرميماث العادية لم يبعثا فيها حياة الجدد ولم يعيدا ذلك الرونق الجليل في حياتها يوم كانت تشاهدها منذ اعوام طويلة ، عندما كانت طفلة صغيرة ذات اعوام تسعة ، يسوم خلقه بعد ان تم البناء فيه .

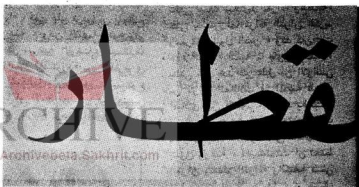


فيها الجسم طراوة وانوثة . ذلك
التفتح الكابل لزهرة الشباب بأحلى
صوره ومعانيه ، وتنهت الفساة ،
وقالت : قدبه قدم هذا الحائط !!
وقد كانت تعني نفسها اذ نعتتها
بالقدم .

وهكذا مر الشريط الكبير اسام
عينها صورا متفرقة ، وخيالات
مشوشة وغير مشوشة ، ذلك شريط
حياتها المليء بشتى الاحداث ،
فسحبت نفسها برفق وهذوء من
مكاتها وهي تقاوم عبرة تكاد تغص
بها ، وآهة تكاد تحرق زوايا صدرها،
وما كادت تضع قدمها على عتبة
غرفتها للدخل حتى انفجرت في بكاء
مكبوت والقت نفسها كيفما كان ثم
اعتمدت رأسها بين يديها متكة على
أحد المقاعد ، وراحت تصارع
انفجارات العوامل النفسية التي
أخذت تتور عاصفة صاخبة بين
خناياها من جراء الكبت الطويل
والحرمان . ونجاة كفتك دبوعها
بطرف فسقاتها وشعرت (مدفوعة
بالغزة والكرامة) بجوارحها وهي
تصرخ بها وتهتف : ما هذا ؟ اجنت ؟
انك ما زلت شابة جميلة .. ولكنها
لا تصدق ، بل لا تريد ان تصدق !!
انها كبرت ، وانها قدبة قدم حائط
المنزل ، وان قطار السعادة قد
فاتها ببراحل وندت من المرأة الصغيرة

ثم اخذتها بين يديها وراحت تنظر فيها
بكل ذلة واستعطاف ، كأنها تتوسل
اليها ، غرات وجهها مستغيثا لم
تفارق اديمه الرقة والتعومة ، وما
زالت ملامح الملاحه آثارها باقية على
أكثر تقاطيعه ، ولكنه كما يبدو
يصارع الخريف بقوة واستماتة ، وما
سأها الا ترهل في جسمها يكاد
يفسحها عندما تحاول ان تطرح
من مجموع سنوات عمرها بعض
النسيين .

ولدت فانتا وفي فيها لمقعة من
الذهب (كما يقال) . فقد كانت ابنة



واحداته .
لقد تفرست طويلا بالخطوط
والتنوء البارزة في كل مكان من الجبال
وابتست في مرارة ، وسخرية اذ
تخيلت ان تلك التنوء تبد لساتها بين
الطلاء الجديد ساخرة تقول : ولو !!
ان فعل الزمن خالد مهما امتدت اليه
يد الانسان بالتهذيب والتشذيب ،
وان يعيد الترميم والتصليح (مهما
بلغا من الدقة) رونق الجدة والحدائة
في شيء اكل عليه الزمن وشرب ،
وهل يا ترى يعيد الماكياج الى المرأة
ذات الاربعين نضارة العشرين
وحيويتها ؟ تلك المرحلة التي يتدفق

هنا في هذا الربع ابتلعت طاحونة
الزمن انضر الاعوام من عمرها ،
مرت كما تمر الفصول الاربعة رتيبة
في احداث الطبيعة ، ولكن فصول
عمرها لم تكن رتيبة كذلك القوانين
الازلية ، ولكنها كانت متقلبة حسب
مقتضيات الصدف والظروف . هذه
الاعوام التي مرت كان فيها ما كان .
تاريخ ربع قرن واكثر لحياة عائلة من
الناس ، او سجل من الاحداث
لاعوام خلت ، تخللت سطوره بعض
الطرف التي فيها من العبر والذكريات
بعض ما فيها ، او انها لوحة كبيرة
رسم القدر فيها خطوط سيرة

اسرة صغيرة موسرة ، مكونة من والدها وعمها واسرتيها ، يضمهم جميعا منزل واحد ، الى ان وافست العم النية فانطلقت زوجته مع أطفالها الى اهلها ، اما والدها فلم يطبق السكن في ذلك المنزل الذي ما تكاد عيناه تقع على شيء فيه الا وتجنّبه الخواطر نحو اعز انسان لديه اختلطته يد المنون ففرقت ما بينهما فراق الابد ، فما كان منه الا ان ابنتي لنفسه منزلا جديدا اقام فيه مع زوجته وطفله (فتاتنا) عسى ان يجد في البعد عن منزل الذكريات بعض السلوان .

دخلت الفتاة هذا المنزل وكانت آنذاك في التاسعة من عمرها ، غياضة بالحياء ذكية مرهفة على صغر سنها جميلة رائعة ، ااضى عليها التراء والدلال اللذان كانت تتغلب في كنفهما كثيرا من المهابة ، فقد كانت تنقص شخصية المرأة الكبيرة ، ذلك على طراوة عودها وصغر حجمها فهي تقلد في كثير من الاحيان حركات والدتها ، وتكرر ذات

الاورام التي تلقياها على الخدم ، وبالرغم من ثرائهم فقد كانت قنوعة ترضى بالتقليد من كل شيء ، كما انها كانت عكس انزائها فهي قليلة المطالب غير ملحاحة ، وخلاصة القول ان من يخاطبها يخيل اليه انه امام امرأة صغيرة ، وهبها الله ذكاء فطريا نادرا ، ولهذا كله كانت بالنسبة لابيها كل شيء في الحياة . على ان حياتها التي كانت تحياها لم تكن بمنطلقة في جو من الحرية المعتدلة وانما كانت مكبلة بكثير من قيود التقاليد البالية والتي توارثتها هذه العائلة (بنوع خاص) عن اباائها واجدادها منذ زمن بعيد ، فكانت (تلك التقاليد) بصرامتها ورجعيتها نوعا من الاستعباد للمرأة وخنق حريتها وحقتها في الحياة ، فهي على قربها من المجتمع بعيدة عنه ، وعن الاندماج فيه ولو على قدر تفرسه الاوضاع السائدة ، حتى المذنية المستوردة من الخارج في شتى اشكالها واطرافها منوع تقليديها او الاخذ بها ، فالملابس واوقات الزينة وحتى الافكار يجب

ان تكون داخل اطار التقاليد التي نشأ عليها الاباء مهما كانت عريقة في رجوعيتها . وفي مثل ذلك المحيط القائم تربت الفتاة في جو مشحون بالكيوت والحرام ، وقيود تكاد تخنقها دون ان تشمر ، او هي تخنقها فعلا ببطء ، وتحد بل تسلب منها حرية الرأي والفكر ، وقد تقبلت الفتاة كل تلك المتناقضات على انها تقاليد يجب ان تراعها وتسير على هديها ، فنشأت معها هذه العقيدة لتتحول في يوم ما الى عقدة نفسية قاسية .

لم تكن تخرج من منزلها الا في الصباح بحراسة خادمتها الى بيت (ام احمد) القريب من بيتهم ، لكي تتلقى هناك مبادئ القراءة والكتابة ، حتى يتسنى لها قراءة القرآن الكريم ومعرفة اصول الدين ، وقد كان بيت هذه السيدة اشبه ما يكون بالكتاب ، يتلئق فيه عدد غير قليل من الاوانس من كرائم العائلات في المدينة تلك المبادئ من العلوم ، وقد بالغت الفتاة في جدها واجتهادها وتفتحت مداركها بها استحوذ على نفسها من شوق ورغبة ، فاستطاعت ان تحفظ القرآن وتتعلم القراءة والكتابة في مدى وقت قصير جدا ، ثم قال الوالدان : خلاص ، البركة في هذا وفيه الكتابة ، البنت مكانها المنزل . وكما اراد الوالد بقيت الفتاة في المنزل بين جدرانها لا تعرف عن الحياة الا اشياء تافهة ، تلتقطها افنانها من هنا وهناك ، من اقواه جيرانها ، او من والديها ، او من الخدم ، او تقع عليها عيناها عرضا ، او تدرجها بأساليب طبية اخرى ، وعلى هذا الاسلوب الرتيب كانت براعم شياها تنمو وتزدهر ، والانوثة الطاغية تنبثق صارخة من كل شيء فيها ، وهي ترتفع على عرش الربيع الثاني والعشرين من عمرها السعيد ، وجاء اول خاطب يقرع باب حياتها ليحده موصدا ، اذ لم يرق لوالدها

صُدُور كِتَاب



أرباب الكويت في قرنين
تأليف الأستاذ : خالد سعود الزريد
الكتاب الذي يحتوي على أكثر من أربعين
ترجمة لسأورأرباب كويتي منذ تأسيس الكويت الى الوقت
الحاضر .

لقد بلغت هذه المرحلة من العمر وهي ترقب اللحظات الحلوة العظيمة في حياتها ، تلك اللحظات التي تتحقق فيها أعذب أحلامها وأمانها ، وتحظى بفارسها الجميل الذي طالما توسلت إلى الخيال أن يظل أطول وقت ممكن لتميش معه في أوجهاها اللذيذة .

لقد مضى من العمر أجله وأحلاه ، وبدأت تشعر بحاجتها الملحة إلى ذلك الفارس الذي ستلبيس في كنفه سعادة الحياة الزوجية ، ذلك الشريك الذي سيملأ في أعماقها أوار الحسرة ، وتستريح إلى صدره من عناء دروب الإعوام الطويلة الشاقة ، لقد بكت طويلا هذا الوضع الذي آلت إليه ، أنها محرومة من أعز ما تتناهى الفناء في ريعان شبابها .

محرومة من قلب يبادلها الحب ، قلب يتمهد شعورها وأحاساسها بالنيو قبل التبدل حتى لا يكتفئ نسي قرار سحق من نفسها ، تنظّل انسياسة بلا شعور ولا إحساس ، كتلة بلهاء ، لقد بدأ شعورها بالرغبة والالام يتجدد ، وأخذت تبدو على غير عادتها فقد صيرها الكبت الطويل والحرمان امرأة عصبية المزاج تنور لآلته الأسباب ، وتنفعل لأقل ما يحدث لها ، والإيام تمر وهي تزداد عنفا في انفعالاتها وانهيارا في أعصابها ، وقد لاحظت والدتها عليها ذلك ، فما كادت تسألها في ذات خلوة حتى انهارت في حجرها وفتت رأسها الصنوبر في صدرها واسترسلت في بكاء طويل ..

لم تتمالك الفتاة أعصابها ولم تجد متسعاً للسير ، فقد طغى الكيل لديها فصرخت بكل دخيلتها وطوايا نفسها ، قالت كل شيء ، وتحطمت الحواجز — حواجز التقاليد — أمام ثورة جاثقة من الحقيقة الكئيبة والواقع المر : قالت : « انكم تجنون علي وتحطون بحياتي ، وتطاولون زهرة عمري وتعمئون بمستقبلي وانتم لا تحسون ولا تعلمون !! تريدون لي زوجا صالحا ، وأنا على يقين من

تستطيع ان تنتوه ببنت شفه ، او تقحم نفسها في مثل هذه الامور ، فقد علمتها التقاليد ان مثل هذه الاشياء ملك خاص لأراء والديها ، ومن العيب على الاوانس ان يتحدثن في امور الزواج او يبدین رأيهن فيه . علمتها التقاليد ان تكبح جراح المراد الجبار في صدرها ، وان تتعلم الطاعة وان تترك ذفة حياتها ومصر مستقبلها رهن إشارة من والدها ، وهكذا أخذت مراة الحرمان تشقيها ، وبدأ التفكير يقلقها ويضيقها ، وإلام كل ذلك وجدت نفسها وحيدة لأحول لها ولا قوة غير قادرة على عمل شيء يذكر .

بلغت الثلاثين وأخذ احساسها بالمرارة يتزايد ، فكلمها طبقت أرجاء الفضاء زغاريد الإعراس في حارتها لجأت إلى فراشها وراحت تبكي بكاء مرا ، كانت تبكي حظها العائر ، تبكي زهرة عمرها التي لم تتمدها يد بالرعي حتى تتفتح اكباها فتشمر بوضوحها من الحياة ، وتؤدي دورها وواجباتها الطبيعية كأي امرأة أخرى ،



فاعتذر بأعذار واهية اعتاد بعض الإباء ان يجعلوا منها مقدمة للرفض ، لقد كان الشاب الخاطب من عائلة ثرية تضاهي في مركزها الاجتماعي عائلة الرجل ، غير ان الذي أحجمه عن الموافقة على هذه الخطوبة هو انطلاق الشاب بعض الشيء حيث علمته أسفاره الكثيرة إلى مختلف الأقطار التي زارها ، والبيئات التي اختلط بها ، دروسا وتجارب أسفرت عن تحرره من بعض قيود التقاليد التي كانت تشده وتربطه بمجاعة الماضي ، وكان الشاب في عتوانه يميل إلى اللهو والمعبث ، في حين ان مثل هذه التوافه من اللهو الذي يصدر من شاب منطلق لم تقيده مسؤولية الزواج قد يكون منشأة الفراغ والوحدة او الحرية المطلقة التي لا تنظمها روابط الزواج ، ولا شك ان مثل هذه التوافه سيكون الزين كليل باصلاصها .

ودارت عجلة الزمن فاذا الفتاة في عتوانها ، زهرة ياتعة حان قطافها ، وجاء خاطب جديد ، وثان وثالث ، ثم كثر الخطاب فلم يكن لأحد منهم نصيب بالاقتران بها ، فقد كان والدها يبحث عن شخص يتنهج بمثالية نادرة ، صورها هو في خياله وجمع لها من المومات ما يتفق ورغائبه ، وكانت فاتحة الشروط ان يكون صهره من ذوى الحساب والنسب ، ولما كانت مطالبه وشروطه الكثيرة يعز توافرها لدى شخص ما الا من كان مئزها او بلغ الكمال ، فقد بدأ عدد الخطاب يتضائل شيئا فشيئا حتى لم يبق أحد ، بعد ان اقتنع كل راغب فيها بأنه لا طائل برجى من زواج يحتاج إلى كتب في الانساب والنابات الشخصية ، وعلى تلك الشاكلة ارفض طالبي الزواج ، ولم يعد أي شخص يطرق الباب طالبا يدها ، وكانت بدورها تسمر بكل ما كان يدور حولها ، بالرغم من اللتكم الشديد الذي كان يبذو من والديها ، وبدا الإلام يصمرها بينما هي لا

لقد هدأت الأم من نائسة أبتتها ،
واخذت بخاطرها ، ولكن ماذا يفيد
هذا كله ؟ لقد انصرف الرجال عن
الفتاة وهي فيض من اللوعة ، فهل
تراهم يقلبون عليها بعد ان بدأ
الخريف يطوح بانصر ما في فروع
عمرها من ازهار واوراق ، حتى
اهلها وان فكروا في المنازل من بعض
اسرارهم وتسمكهم بشروطهم ،
فلن يتبعوا وسائل واساليب الترفيه
فتقاليدهم تأتي ذلك كل الإباء .

اي مجتمع في أي زمان ومكان
لا يرحم فتاة يفوتها قطار الزواج ،
ولا يجنبها لذعات لسانه ، ان
المنوسة التي تجبر عليها بعض
الفتيات ، فيبقين منطويات على
انفسهن في مساكن آباءهن يقاسين
الكبت والحرمان لا شك ان لكل حالة
اسبابها ، فليت تلك الإلسن الحداد
يتحرى اصحابها قبل كل شيء عن
الاسباب او البواعث التي أدت
بالفتاة الى ذلك المصير بدلا من ان
ينظروا اليها بمنظار يعكس الحقائق

والوقائع ويعروا اجسادا مصانة
بشائعاتهم ، فكم من الناس ممن
تجرت شملتهم ، يخلطون اسبابا
من عندياتهم بعيدة عن منطق
الإنسانية ، واقل ما سيقولونه
(بايره) او (فيها عيب) والتجني
على فتاة بريئة بمثل تلك التهموت
امر يؤسف له حقا ، فكم فتاة شاء
لها القدر ذلك الوضع القاسي لسوء
مدارك اهلها وعدم فهمهم كيفية
التصرف بمصير مستقبلها . او
لاسباب طبيعية خارجة عن ارادتها .
اعد القدر لوالد الفتاة درسا
وعبرة ، فغضب ضريبة القاسية
وطوح بجميع ما كان يملك ، واذا
به يفتح عينيه فلا يرى من ثروته
سوى ذلك الاصل والنسب اللذان
كان يتبجح بهما ، وادركت الفتاة
حينئذ ان اسهمها في الزواج ممن
كانت في مستواهم الاجتماعي قد
هبطت الى الخسيس . وراحت
تجتحر الحسرة والالم ، وعاد والدها



اتفقا مشاربا واهواء وامزجة ، انكبا
تتركانني هكذا موت موتا بطيئا بالام
وحديثي وخبراتي ، وانتي لا تعلمين
شيئا مما اقلني ، ولا تحسان بها
احسه ، همكا الوحيد هو الانتظار
حتى يجيء ذلك الزوج الذي سيكون
حسب رغبتك لقد انفض الخطاب
من حولي ، وما قد مضت اعوام دون
ان يتقدم لطلب يدي احد ، لقد عرف
الكل ان لا مائدة ترحبني .

انقضت الفتاة بكل ما يعتل في
صدرها ، فغشعت بكثير من الارتياح
كانها القتت عن كاهلها اعباء تلك
الاعوام الطويلة التي كانت تنوء بها ،
فما كان من ابها الا ان هدأت ثائرتها
واخذت بخاطرها ثم وعدتها بان
تسعى الى تدارك الخطأ واصلاحه ،
والعمل على حل ما تعقد من الامور
التي لم يتصوروا انها ستصل يوما
الى ما وصلت اليه بسبب اصرارها
وتمسكها في نوع العريس الذي
يرغبان فيه .

رغبتكم الصادقة في السعي وراء
سعادتي ، ولكثمت في الواقع تريدون
لي زواجا من الملائكة وانا لست من
الملائكة ، ما انا الا بشر ككل البشر
احب الناس واحب الحياة والانطلاق
تريدون لي شخصا مثزها عن كل
عيب ، وليس في البشر رجلا انتهى
الى درجات الكمال .. تريدون ان
يكون الزوج كذا وكذا ، وتشترون
ان يكون حسب اهوائكم وهواكم
وكانكم انتم الذين سوف تتزوجونه .
وتريدون لي زواجا من اصل وفصل
وكانني سموت الى السمك باصلمكم
وفصلكم . او انني من طينة اخرى
لا يمتزج بها طين البشر !! وما انتم
ترون انني اصبحت عاتسا بسبب كل
هذه الرغبات ، عاتسا يا اياه !!
انظري الى اشارات الاربعين في
مقدمها . انها تقطعني .. ان اصل
الرجل خلفه وعيله وكرامته ، وان
المراة الذكية اللبية تستطيع ان تجعل
من زوجها ايا كان مثاليا متى ما

يتبنى من كل قلبه ان يتقدم الى طلب يد ابنته زوج مستور الحال ، على ان موضوع الامل والفصل ما زال يشده بقوة ، وقد فاته ان ابنساء الطبقة الكادحة لا يتجحون باصولهم وانسابهم ، ولكنهم يفاخرون بمصائبهم ، وبرجولتهم وما يكسبونه من عرق جباههم ولو كان شحيا ، حسبهم ذلك هو الشرف الرفيع .

كانت الفتاة في هذه الاونة كسيرة القلب مبليلة الانكار ، يقضها الالم ويملأ الحزن زوايا نفسها المضطربة ، لقد فوت عليها والدها اثنين فرص الحياة ، وحطم بأرائه المتقلبة مستقبلها الزاهر في وقت كانت تطل فيه على غيرها من الناس من برج عاجي ، يوم كان الثراء والجاه العريض هما في مقدمة الاسباب التي حدثت بكثير من شباب العائلات المروعة ان يتهافوا طالين يدها ويتصوروا الفوز بها بمعجزة ، اما الان فقد تبدل الحال بعد ان زالت تخبة النعمة ، وذهب الجاه الى غير رجعة ، واصبحوا في مستوى العالة الكادحين ، وكانت فرصة للحاتين الذين رد طلبهم سابقا يتشوقون ويشنون بالرجل السدي امتنع عليهم الزواج من ابنته ، فكانت تلك انعس ايام حياة الفتاة خصوصا في تلك المرحلة من مراحل عمرها .

على ان الصدق لم تبخل عليها بفرحة خالصة ، وهي في اهلك ايام عمرها عندما قبض الله لها خطيبا من عائلة متوسطة الحال ، فكانت اثنين فرصة يفتنهما الوالد حيث وافق في الحال ، ودامت الخطوبة ستة اشهر كانت من اسعد الشهور نسي عمر الفتاة لم تسع الدنيا فيها بالتمتع ، فهي لم تحلم انها ستكون يوما ما زوجة لرجل بعد ان تخطت ربيع العمر الى خريفه ، وما كانت تصدق ان سكنا واحدا سيحتويها مع انسان يشاركها الحياة بعد ان قضت كل هذه الاعوام ، تقضها الوحدة ويضنيها الحرمان .. ولكن !!

ولكن !! ما آن لهذه الفرحة الخالطة ان تبقى ، ولم يقدر لها ان تدوم . فقد فسح الخطيب خطبته ، وجاء للرجل من يقول له : ان خطيب ابنته وجد ضالته في فتاة ميسورة الحال ، احبها واحبته وسوف يقترنان قريبا ، وتتم المحدث صموت خفيض بين طياته مرارة الالم (لقد كفر الناس بالنعم واعينهم الاطباع حتى في شركة الحياة ، كانوا الفقرو وصة عار في المجتمع) لقد اخذت هذه الكليات طريقها الى اذن الاب فكان لها وقعها السيء عليه .

لها الله مظلومة نيبا تعاني !! كلما بدأت تفتتح مغاليق الحياة امام عينيتها ، صفعتها القدر واضلها في مجاهل حياتها الخاوية ، لقد هد هذا النبا كيانها ، وانهارت على السره اعمالها وابايتها التي كانت تعيش لها وتستمد ساعات الفرحه والنسيان منها ، تلك القصور التي طالما شيدتها في مخيلتها تقوضت على خضض الحقيقة ركابا ، حجرا اثر حجر ، واصبحت الحياة في نظرها لا تساوي شيئا ، واي شيء لديها تستطيع ان تبته شكواها يشارها كل صغيرة وكبيرة سوى الانهيار واحزانها تركن اليها صابرة يائسة في يؤسها .

لقد تفتحت ابواب الخريف لتلجها وهي تحمل على كاهلها هموم الاعوام الطويلة ، كلما خطرت الفكريات في مخيلتها وكلما تذكرت ان قطار السعادة قد فات ، وان حياتها اصبحت تافهة لا معنى لها ، تركت لدموع الحسرة العنان تذرغها بجزارة وتستمد منها بعض الراحة ، فهي تحس انها كلما امنت بالبقاء خفت من حدة الالم ووطاته على صدرها . اما والدها فقد ظل في حيرة من امره لا يدري ماذا يعمل ، فمتعبا داهمته النكبة تقبلها بشيء من رباطة الجأش ولو انها كانت خربة من القسوة بكان ، ان هذه العزة والجاه والثراء قد انهار كله بسرعة

لم يتوتمعا ، والذي كان يحيره بل يقضه ويؤله هو عدم معرفته لحرفة من الحرف تؤهله لكسب العيش الكريم بعرق جبينه ، اما الاعمال العادية الشاقة ثلن يحتلها جسمه الضعيف الذي اعتاد الثرف واللينة ، بل وربما وجد غضاضة في القيام بمثل تلك الاعمال خشية السخرية ممن يرونه من معارفه ، ونسي او تناسى ان العمل الشريف مهما كان نوعه وابنا وجد شريف يبعث بصاحبه الى الفخر اذ يقفه مهانة التوسل والاستجداء من الغير .

وفي ظهره يوم من ايام الصيف الطويلة ، والناس في مساكنهم يتشدون الراحة والهدوء ، خرج الرجل على اثر طارق يطرق الباب ، فاذا به امام شاب مقتول العضلات ، قوى البدن ، اسمر اللون ، يسل مظهره على البساطة والسذاجة ، وواضح فيه انه من الطبقة الكادحة ودون أية مقدمات فاجأه بعد السلام بقوله : جئت اطلب يد ابنتك !! وفاه الرجل دون ان يدري بماذا نفوه : موافق دون شرط .. ولكنه استدرك في صوت يغليه الحياء فيه رعشة حزن و ألم : انني ارحب بك صهرا ، ولكن رايها ولا شك هو الاول والاخير . على يد مساء اليفك النتيجة .. ثم افترقا على امل اللقاء ...

لقد حارت الدموع في محارجه ، ما اغرب تصاريح الحياة ، وما عجب امسها ويومها . بعد ان تكشف له على حقيقتها شيئا غريبا ، ان الانسان مهما سقى فيها فهو بالنسبة لها شيئا تافها ، لا قيمة له انه من تراب وماله الى التراب حسب ذلك عظة وعبرة .

ووقت المرأة من يد الفتاة عندما شاعت والدها منتصبا بقلبه على باب غرفتها ، وآثار دموع ما زالت باقية في عينيه وهو يقيم من الفرح دون وعي او شعور :

« لم يفكك القطار يا فتاتي الحبيبة !! » .

يوسف إدريس رحلة إلى القلق

ص ١٩٨

ولذلك فإن هيربرت أريد يرد على هذه الفكرة السطحية بقوله « في استعمال كلمة الواقع في ذلك البوضع مواربة .. فكلية الواقع معناها — ان عنت اي شيء على الإطلاق ، كلية الظواهر الطبيعية الواقعة تحت الحواس ، وما دامت هي كذلك فلا يمكن ان توصف بالاشتراكية والراسالية ، انها الحياة كما هي. كائنة .. واذا كان عمل الفنان يعكس صورة تلك الحياة فإنه حينئذ اداة خالصة او على اية حال اداة لا غرض لها » .

« نفس المرجع ونفس الصفحة »
ثم يقول ايضا شارحا سطحية هذه الفكرة :

« ولقد بنيت ما احسبه الديالكتيك الصحيح في الفن .. وقلت انه مركب من المتناقضات متناقضات الواقع والا واقع ، الفعل والخيال . ويبدو ان مذهب الواقعية السوفيتية بصفته يبدأ غاشل عن هذه المشكلة الديالكتيكية ، وعليه يصبح الفن في الحقيقة لا عملية ديالكتيكية في ذاته وانما ربما اكتسبته مثالية من نوع خاص » .

ولذلك فقد كان من المستحيل ان

يمكننا ان نقول نتاجا للمعرض السابق في الحلقة السابقة ان يوسف إدريس يعاني قلقا فكريا لم ينته بعد، فقد رأينا الفنان الذي بدأ محصورا في عالم بل وسار فترة طويلة في اتجاه واحد ، يعود فينظر حوله منبهرا او مدعيا الانهيار (فالوقوف ليس اصيلا لديه كيونسكو مثلا) ، لينتج لنا اولا الفراغ ثم لينتج لنا بعد ذلك المهزلة الأرضية ، ومجموعة « لغة الاي آي » .. القصصية ، وقد يكون ذلك ، كما قلنا ، ناتجا عن تصويره بان الفن الاشتراكي الذي بدأ يكتب على اساسه ضيق الافئدة .. محدود الفكر ، وهو وهم قديم وقع فيه كثير من الادباء وهم ممن اطلق عليهم المرحوم الدكتور مندور يوما كتاب « الادب الهاتفي » للسخرية بهم ، بل لقد وقع كثير من مفكري الاشتراكية والنقاد في نفس الخطأ في بدايات ظهور الاشتراكية واستقرارها وربما كان ذلك ناتجا عن ان الفكرة نفسها لم تكن قد اخذت الوقت الكافي لتنمو في ذهن الادباء نوا صحيا طبيعيا .

ثقاتها فحسب ، ولكن يعني ايضا صورة لولد تلك الطبقة او تلك القوة القادرة على خلق مجتمع جديد ومدينة جديدة ولا يعني مذهب الواقعية الاختيار المطلق للظواهر الثورية ، او تجميلها وتنميقها ، ولكنه يعني عرض صورة الواقع كما في كل تعقيد وقائعه وفي كل تضاده وتناقضه كما لا يعني عرض الواقع الراسالي فحسب ولكن ذلك الواقع الجديد الاخر ايضا واقع الاشتراكية . « الفن والمجتمع — هيربرت اريد ترجمة فتح الباب — عبد الحليم

علو اننا حللنا مثلا ما قاله كارك رادك وهو احد النقاد التقليديين سنة ١٩٣٤ — ان قصي الفن السوفيتي لطرقه الابتكارية الخاصة طويل ، وان كان من الضروري ان يقهر التقاليد الفنية للقدية ويهدمها ، ويكتشف دربا جديدا يقضي الى تصوير حياتنا كما هي ، ولقد كشفنا هذا الدرب فاهدنا الى طرق الفن السوفيتي وانها لتتناسب والاعمال التي تكفل بها كتابة الفن الثوري .. لا يعني مذهب الواقعية مجرد اعطاء صورة لاضحلال الراسالية وذهاب

البحث يقف على الكتاب

ARCHIVE
http://archivebeta.saknet.com

صلاح الملا

وكيف انها نشأت بعد الكلاسيكية كاحتياج فردي متحمس ومتناقض على الدنيا الرسالية البرجوازية . على دنيا الامال الضائعة على النفاة والتجهم للذين تلزمها . دنيا الاعمال والارباح ، وقد كانت كل اشكال التعبير الفني بعد ظهور الرومانسية ان هي الا اعتراضات رومانسية في جوهرها مثل مذهب الفن للفن الذي نادى به بودلير . فقد كان احتجاجا على الموقف التفمي الصارخ والاهتبات العملية الكثيرة للراسالية نشأ من تصميم الفنان على الا ينتج سلعا ، وذلك

الاشتراكية بالمرة لكنها مقدرة الفنان على الفهم . وكان لا بد ايضا ومع مرور الوقت ان يتسع مفهوم الواقعية الاشتراكية ويتطور حتى يمكن ان يحتوي كل ما يمكن ان تطمع فيه الواقعية الاشتراكية في ان ينضوي تحت لوانها ، ولذلك فاننا نجد مفكرا اخر هو ارنست فيشر يكتب عن ضرورة الفن ، محللا المصادر الاولى للفن ، وارتباطه اصلا بالسحر وانه (الفن) يفقد معناه لو فقد الجزء الاخير الذي يربطه بالسحر ، ثم يحلل الرومانسية بمظاهرها المختلفة،

يبر منطق غبي كمنطق السيد رادك دون ان يوقف عند حده حتى لا تنتشوه المفاهيم والقيم ، فقلل بوخارين في نفس المناسبة بعد تحليل واع لطبيعة التجربة الفنية ان اسلوب التفكير في هذا العالم ليس بعينه اسلوب التفكير المنطقي ، فعملية التعميم هذه لا تتم باخضاع الحس ولكن باستبدال مركب واحد من رموز الحس بحملة كبيرة من المركبات الاخرى ، ويصعب هذا البديل الجديد رمزا او صورة او طراز او وحدة مصبوغة بالصيغة الانفعالية ، ففي ثانيا جلابيها الاف

من العناصر الحسية الاخرى ، وكل وحدة من هذه الوحدات حسية البناء، ولا يكون عندنا فن حتى ننقضي من هذه الوحدات ونثبتها ، وبعبارة اخرى حتى لا نخرج هذه الخبرات اخراجا ابتكاريا بنائيا .

وهنا ايضا يعلق هربرت اريد « كل هذا حق للغاية حتى ان الانسان ليعجب كيف يوفق هذا الناقد بين ادراكه الصحيح بطبيعة الفن والمذهب الرسمي للواقعية الاشتراكية » .

نفس المرجع ص ٢٠٢ :
اذن فالفن لا يتناقض مع

في عالم أصبح كل ما فيه سلعة للبيع .

وكذلك كانت الانطباعية والغربة، واللاإنسانية، والتفتت لکن من این يستبد الأدباء والفنانون الممثلون لهذه الاتجاهات أهميتهم أو بمعنى آخر هل هؤلاء الفنانون رجبیون تافهون مثلا ، غير تقدميين كما يقال دائما .

يرد الفكر للشباب اليا فرادکین في مجلة « الادب والفن » العدد الاول - موسكو - ١٩٦١ ، فيقول « ولم كانت تهمة الاغلال القاسية توجه بلا تمييز ولا مبرر مفهوم لمجموعة واسعة متباينة من مظاهر الفن الغربي في تلك السنوات ، فكان الفن والادب في الفترة التالية ١٨٤٨ (بعد سقوط كوميون باريس) وخاصة في القرن العشرين يعتبر منحلا انحلا كاملا وكذلك استعادت جميع النظريات التي ظهرت في هذه الفترة ان مسالة الحركات الفنية في القرن العشرين ترتبط بمسالة اكبر من ذلك هي العلاقة المتبادلة بين الواقعية وغيرها من الحركات والمناهج الفنية . لكن ماذا نقول اذن في فئتين لا شك في مقدرتهم كؤلفي المسرح من الكلاسيك امثال مولير وراسين وغيرها . ومن الرومانسيين امثال هولدرين ووالتر سكوت او ما بعد الانطباعيين من امثال فان جوخ وجوجان ؟ كانت هناك طريقة بسيطة للخروج من المازق هي التسليم بقدرة هؤلاء الفنانين . لكن مع التاكيد بانها قدرة تميزوا بها بقدر ما نجد في انماجهم من عناصر واقعية ، لكن هل هذا حل صحيح للمسالة .

الم يتضمن كل من الكلاسيكية والرومانسية والانطباعية متقدما الفني الخاص بها ، وذلك جنبا الى جنب مع حدودها الفنية والتاريخية الخاصة بها .

الم تكن قدرة راسين وعظيمة مستمدة في نفس الوقت من مكانة

وعظمة المثل الاخلاقية والانسانية والكلاسيكية التي تجسدت في تراجيدياته ، الم تكن مكانة هولدرلين وعظيمة مرتبطتين بسحر الاحلام الشاعرية للرومانسية الثورية .

والحقيقة فان تفسير كلمة « المصدق الفني الخاص بها » يمكن ان يساعدنا على فهم هذا السؤال : لماذا لا يمكن ان يرفض كل الفنانين غير الاشتراكيين ، في كتاب ارنست فيشر المسمى « ضرورة الفن » الذي ترجم الى العربية بعض فصوله بعنوان « الاشتراكية والفن » تتبع تاريخي لنشأة المذاهب الاوربيية كلها سبق ان قال عن الفن للفن الذي نادى به بودلر . كذلك عن الانطباعية التي كانت ايضا حركة ساخطة ضد ما تصف به الفن الاكاديمي الرسمي من ادعاء ، وقد نشر فرانسيس جوردان تحت عنوان « عشرون عاما من الفن العظيم او دروس في الحقاقة » مجموعة من اللوحات التي

حصلت على الجوائز الرسمية في فرنسا في الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، والحق بالكتاب قائمة بمسألة الفنانين الفرشيين الذين عاشوا في نفس الفترة ولم يحصلوا على جوائز ولم تعترف بهم الدوائر الرسمية . وتضمن القائمة اسماء ديجاويسيلى وبيساروا وماييس وروو ودوني وسيزان ومونييه وراينوار وروسو وجوجان وتولوز لوتريك وبنار وهؤلاء هم الذين عاش منهم بعد عصرهم في حين ان مجموعة الرسامين الاكاديميين اصحاب الحظوة والرعاية ، ولا تعدو ان تكون اكداسا من الادعاء المتفطرس والبراء والتجهم ، فبينما لوحات تاريخية مقبضة والى جانبها بعض مناظر بهيجة من طراز الجائر تهشل جنودا يرغبون ايديهم بالتحية بمسالة ونساء عاريات يبدو جلدهم ناعما امس كالجيلاتين وبورتويهايت مؤدبة تصور سلسة سبيل الاعتزاز

بمناصبهم من جميع مسام جلدهم ، ورجال وقورون ملتحمون تالطهم عرائس للشعر والادب من فتيات المولان روج ، وجوريات خجولات وقديسون مصلوبون زينوا الاستشهاد في احد صالونات التجميل .

هذا هو الفن الذي كان يفوز بالجوائز الرسمية ، فما الذي اعطى قيمة لكورييه ؟ احد الانطباعيين الكبار ، بينما مات كل من فازوا بالجوائز . يقول سيزان عن كورييه انه بناء يستخدم الاحجار ويستخدم المصيص بخصونة . ويسر وهو قادر على خلط الالوان من ليس في هذا يفوقه ، فضربات فرشاته كضربات الكلاسيكيين . انه عميق ورصين ورفيق وله رسوم للمعرايا ذوات لون ذهبي كالقبح الناضج ، اني مجنون بنسائه العاريات ان لالوانه نكهة القمح . يا اولئك الفنانين انهن فتحة منشطة وتسامح واسترخاء لطيف وراحة .

اذن فلم يكن كورييه مجرد صناعي لمصانعة البورتريهات لصالونات السادة الكبار ، وانما كان ثائرا على فن ذلك العصر ومن هنا استمد كورييه اهميته لان ما يصوره في الفن ليس هو الطبيعة المستقلة عن شخصيته وانما هو النظر الطبيعي كما يبدو من خلال تجربته الخاصة وليس الفنان مجرد اداة مرتبطة بجهاز حسي يستطيع ادراك العالم الخارجي . بل هو ايضا انسان ينتهي الى عصر معين وطبقة محددة وامة بعينها وله مزاجه الخاص وشخصيته المستقلة ولهذه كلها دورها في تحديد الاسلوب الذي يرى به .

وهذا هو المصدق الفني الخاص بكل اتجاه فني ظهر . بعد سقوط كوميون باريس . مثل هذا الكلام ينطبق ايضا على كل المذاهب الرومانسية ، التي ظهرت بعد ذلك . اذا كتبت هذه المذاهب جميعا

في نفسه شوق عنيف الى الارتباط بالناس بشكل من الاشكال ، ولو كان ذلك الشكل الملتصق الذي نراه في القلعة ، رأى برود في هذه الصور التي تمثل اوضاعا اجتماعية رموزا لوضع يزعم انها خالدة . لقد انشأ كلا غايضا من مجموعة ضئيلة متفرقة من العناصر المبهمة في انتاج كافكا وقدم الوسيلة الجديدة التي استخدمها كافكا لوصف الحياة في ظل اسرة هابسبرج وهي حياة واقعية وشيطانية معا . على انها نوع من الكهنوتية كما لو كانت تسجلا لنجواب واشراقات دينية مكتوبة بشفرة سرية ، وكان من اثر هذا التفسير الخاطئ ان احسث ادب كافكا نائرا ضارا شجع الكثيرين من دعاة الفوضى واليهام (نفس المرجع ص ١٤٨) .

واخيرا فقد كان لا بد ان تنتهي مرحلة الامراض الفردية (الرومانسية) باشكالها المختلفة التي ربطت مظاهر الفساد والسطحية بالاسباب الموضوعية وهو تطور طبيعي فهكذا كانت البداية في رواية اللورد بيرون « دون جوان » ليكتمل الخط بعد ذلك في ستندال وبلزاك وتوباس سان وتولستوي وجوركي والاخرين ، ومن هنا كان الفن الانشراكي نتجا لتطور تاريخي طبيعي وليس معيالا لاي مذهب او دين اخر لاختلاف النشأة التاريخية ، ولذلك فان رجوع يوسف ادريس الى الالهيانية في المزملة الارضية والرومانسية الحالية في صاحب مصر . وكذلك ما حدث قبل المزملة الارضية في الفرافير وما بعدها في مجموعة الاي آي معا يعتبر تضيقا لزاوية الرؤية بعد ان كان قد بدا لمرحبات مثل جمهورية فرحات واللحظة الحرجة ورواية مثل المستحيل وهو موقف غريب ، على يوسف ادريس ومن اجله يهاجمه النقاد هذه الايام ، ونرجو ان نكون قد قلنا لماذا يهاجم النقاد يوسف ادريس هذه الايام في هذا البحث » .

من ظروف اجتماعية وتاريخية ، اقتصادية حاكمة . وهذا هو الفرق بين كاتبين مثل كافكا وبريخت مثلا ، يقول فيشر : « هناك روابط كثيرة تجمع بين اسلوب كافكا وبين طريقة بريخت في تقديم الصراع الاجتماعي في صورة مبسطة على هيئة حكاية دراجة . ومع ذلك فان لهذين الكاتبين الكبيرين موقفين مختلفين اشد الاختلاف . فيوقف كافكا هو عديم اليقين ، هو يقف الى جانب الضعفاء والمحترقين وضد المتشبثين بالقوة ، لكنه لا يؤمن بقوة الشعب الذي يدافع عنه على تغيير العالم . وينشأ في ذهنه وراء كل امل جديد سؤال جديد اما بريخت فلهذه الجراءة اللازمة لتقديم اجابات . وحكاياته البسيطة حكايات تعليمية ، وايامه بان العالم يمكن ان يتغير فيصبح اقرب الى العقل ايمان راسخ ، ولا شك في انه كان يعرف بدوره ان كل جواب يؤدي الى سؤال جديد . وانه ليس على وجه الارض شيء نهائي ، لكن هذه المعرفة على طرف كافكا لم تكن مصدر امل بل كانت تزيد غم . ان كافكا الذي كان يعاني من وحدة غامضة لم يكن يؤمن في الحقيقة بالضم الى أي شيء بل نفس الاشياء سوف تتكرر دائما وباستمرار ، اما بريخت فيؤمن بان الجديد سوف يشق طريقه رغم كل الصعاب (نفس المرجع ص ١٤٨) . لكن ما الذي وقف بكافكا عند هذا الموقف ان لم يتعداه « ان العالم لذين يقف كبير لماكس برود الذي انقذ مخطوطات كافكا ، ولكن من الحق ايضا ان يقال ان تفسير برود لكلمات كافكا قد قاد الكثيرين الى الضلال فكافكا لم يكتب عن عذاب الانسان في الكون او في اصل الاشياء بل في وضع اجتماعي محدد ، لقد ابتعد عن شكل راعنا من السخرية الخالية بنسج في الحلم مع الحقيقة ليصور ثورة الفرد الذي يعاني الوحدة ، والذي يكافح بلا امل ضد قوى الظلم المجهولة في عالم غريب عنه ، ويتحرك

من الفن للفن الى العبدية التي الانطباعية التي التفتت الى الرمزية الى الرادية لها صدقتها الفني الخاص وعندها نقرأها او نراها نحسها جيدا فلماذا لا نقبلها بكل ما فيها او بمعنى اخر لماذا فشلت في تحقيق التوازن المطلوب ، فشلت الانطباعية مثلا لانها تفكك العالم وتحوله الى صور والوان وتسجله على انه يتجسم للدراك الحسي ، ثم اصبحت بشكل متزايد تعبيرا عن علاقة بالغة التعقيد بالغة الدخايل بين الذات والموضوع ، فالفرد الذي فرضت عليه العزلة والذي تدور افكاره حول ذاته انما يعرف العالم كمجموعة من المؤثرات العصبية والانطباعية والاحوال النفسية المختلفة وكفوضى لامعية كجربة خاصة واحاسيس شخصية ان الانطباعية في الرسم تتسائل الوضعية في الفلسفة . فهي بدورها تسمح بالا يكون العالم اكثر من تجربة خاصة واحاسيس شخصية ليس واقعا موضوعيا موجودا بشكل مستقيم من حواس الفرد . ان عنصر السخط في الانطباعية يجد في اثره عنصرا اخر هو عنصر الغربة اللا ارادية غير المقابلة هو موقف المتفرج الذي لا تعنيه غير انطباعاته والذي لا يعنزم تغيير العالم . لذي لا تزيد بقعة الدم في نظره عن ان تكون بقعة لون فيشير « الاشتراكية والفن » كتاب الهلال عدد يونيو سنة ١٩٦٦ وكذلك الامر ايضا مع كسل المذاهب الفنية التي لا تتسع رؤيتها لثرى رؤيا موضوعية كل الجوانب في القضية لهدا ايضا فشلت فلسفة كالموسية المطلقة عن ان تجد لها ارضا راسخة تقف عليها (انظر محمود امين العالم ، معارك فكرية الفصول الخاصة بالانفصاع عن الفلسفة) كتاب الهلال العدد ١٧٧ . ومن هنا لا بد ان تفشل كل النظرات الرومانسية الفردية الضيقة التي تعجز عن ان ترى كل ما هو لها

اقصوصة قروية

بقلم عيسى الناعوري

منذ ان وضع اول حجر اساس اول بناء في القرية ،
واهل القرية يعرفون العين تتدفق بمائها المخب
المرتق ، بل لقد كانت تتدفق بالماء قبل ان يجيء اول
انسان ليقم له في القرية كوخا ، او منزلا صغيرا ياوى
اليه . وكانت المياه تجري صافية على الحصى في
السيال العريض الطويل ، الماضي بهدوء وتعرجات حلوة
نحو الشلال الشاهق عند الطرف الغربي من القرية .
وحين تصل المياه الى ما قبل جبين الشلال العريض
الواسع كانت تقف عند ظهره لتتجمع في بركة صغيرة
يلعب فيها اطفال القرية ويستحمون في مرح وحبوبة ،
ثم تفيض عريضة ضحلة الى صدر الشلال العريض
الرحيب ، ومن هناك تتدحرج من علوها الشاهق ،
فتطابير رذاذا يندى الهواء ، وينهر غديا على الاشجار
النامية في الصخر ، والمعرشة على عنق الشلال من
قلب المصب السحيق في قم الوادي ، ثم على الاشجار
التي تملأ قلب الوادي وجوانبه ، ويسقي البساتين
الترامية على جوانب الوادي الى مسافات بعيدة لا
ترها العين ، فاذا الخضرة تضحك هناك في سائر
الفصول ، واذا الندى يبيت الزهر والعشب والحياة
الخضلة في كل موسم ، واذا العصفير والحمام البرية
في اعراس لا تنقطع على طول الوادي الماضي الى
الاعماق البعيدة المجهولة .

وكانت العين ثديا غزيرا لا ينقطع دره ، تستقي منه
القرية بأسرها : اناسا وبهائم ، وبساتين ، وحقولا
مترامية على جوانب السيل الماضي نحو الشلال ، وتبد
السيال والشلال والوادي من بعدهما بالسلمسيل المحيي
الذي يملأ القرية واراضيها بالخضرة التي لا تموت فيها
البساتين .

قبل ان توجد القرية كانت العين تستقي العصفير

ARCHIVE
archivebeta.Sakhril.com



لماذا جفت العين ؟

يلعبون في البركة الصغيرة على ظهر الشلال ، او يتسابقون على خيول من القصب واغصان الدفلى يقطعونها من الوادي القريب ، او يطاردون الفراشات الجميلة وصراصير « ابو بلح » الخضراء المتطليسة ، ذات اللونين الجليل ، فاذا ما أمسكوا بواحد منها ربطوا ساقه بخيط طويل ، وتركوه يطير في ايديهم ويرسل طئنه المحبب اليهم كثيرا .

كذلك عاشت القرية الصغيرة عمرها الطويل في سلام مع العين ومع الطبيعة : بساتينها وكرومها تعطي الثمر والمقايد خضبة غنية ، ومواشيتها ترعى وتعطي الغذاء الهنيء ، وحقولها تعطي الخير بسخاء . لم يعرف أهلها العطش ولا الجوع ، بل كان الخير من ارضهم يفيض على القرى والمدن المجاورة .

ولكن الندى العزيز جف فجأة . واستمر الجفاف اياما ، ثم اسابيع ، وأهل القرية في حيرة من امر الجفاف المفاجيء . وراحت النسوة يردن الينابيع الصغيرة الاخرى التي لم يردنها قط من قبل . وكاد الماء يجف في السيل والشلال والوادي من بعدهما . وعطشت البساتين والحقول ، وران على الشلال صمت كليب ، والوادي من تحته اعتراه الجوع والذبول ، والإنسان المريضة تحولت الى قطوب في وجه الحقول والبساتين . لماذا جفت العين ؟

انسان واحد في القرية كان يعرف لماذا جفت العين فجأة . لقد جفت لان حورية الماء غضبت عليه ، فانتقمته من القرية كلها بسببه ، وكان انتقامها شديدا قاسيا فوق طاقة القرية البريئة الطيبة .

كان « دخل الله » فتى بهي الطلعة ، توى الجسم ، كثير المرح والحيوية . وكان بين فتیان القرية ورجالها

والطيور البرية ، وتسقي حيوانات البر ، وتجري في اراض جرداء فتخصبها وتبعث فيها الحياة . وحسن وجدت القرية كانت العين ترا يدها بالخصب والحياة والنماء .

وفي القرية ينابيع عديدة ، بين صغيرة وكبيرة ، تجري مياهها في سيول وقنوات صغيرة ، تلتقي كلها في السيل الكبير قبل وصوله الى الشلال ، غير ان القرية كلها كانت تستقي من العين الكبيرة التي تنبع من جحر كبير في الصخر كالمغارة ، ثم تتجعب في حوض واسع تحته نساء القرية ليغسلن ثيابهن السوداء على جوانبه . ومن الحوض تنطلق المياه بعدئذ مناسبا في السيل العريض ، وفي بعض القنوات الاخرى كان الماء التابع من المغارة الصخرية صافيا مفرقا ، لا تستطيع ان تراه وتنتع عن الشرب منه ، فهو يغريك بالشرب وان لم يكن بك عطش .

كذلك عرف الناس تلك العين السخية : منذ ان اتوا منازلهم حولها قبل مئات السنين . لم تبخل عليهم يوما ولم تشع ، فهي معهم وهم معها على اتم وفاق . في الصباح والظهر والمساء تشهد الطرقات المنحدرة الى العين من كل اطراف القرية ، والصاعدة منها الى التلال المتعالية التي تقوم عليها بيوت القرية ، اسرابا من النساء والبنات يردن العين افواجا ، ويصدرن عنها وجرار المساء وصفاته على رؤوسهن تيجان شايخة في خيلاء . والمرأة القروية تزهو اذ تحبل الجرة او الصفيحة على راسها دون ان تسندنها بيدها ، فتهضي بتاجها واثقة بختالة تحت عيون الرجال الجالسين على سطوح البيوت المنخفضة ، او في ظلال جدرانها ينظرون الى الغاديات والرائحات ، ويلعبون « النقلة » ، او يتجاذبون الحديث وابصارهم تجوب الاتاق البعيدة فلا يصدها حاجز دون ابعد الاتاق . والاولاد المالبسون

تدققها وصفائها .

— حورية العين ؟ ولكنني لا اعرف ان للعيون حوريات !

— ستعرف الان متى جئت لتعيشي معا في صميم الينبوع البعيد ... تعال !

انتي اريدك لي وحدي . لقد انتظرتك طويلا .. !
— ولكن لي فنتاتي التي احبها ، والتي اخترتها من دون بنات القرية . انني احبها وهي تحبني ، وانسا راض بها !

— انت لي وحدي من دونها ! لن تكون لفضية ، بل لي انسا .

— ولكنني احبها وهي تحبني ، ولا اريد سواها !
— سأعوضك عنها بخاتني ودفء حبي !

— اعوذ بالله ! اعوذ بالله ! عفوك يا ربي !
— لا تحاول الاستحليل ! لن تكون لسواي ، فتعال الي لنمضي معا الى الاعناق .

— مستحيل ! مستحيل !
— ستقدم كثيرا ، وستقدم معك القرية بأسرها اذا لم تات معي !

وفي شدة الخوف والفزع رأى دخل الله وجه الحورية

يخول من الابتسامة الدافئة الفاتنة الى العيوس الرهيب . وسمع صوتها يقول غاضبا :

— تعال قبل ان اغضب ، فيحل بك الندم .
ولكن دخل الله لا يدري ماذا حدث له بعدئذ . كل ما يعرفه ان القرية استيقظت في الصباح لتجد عند العين مائتة واعية ، والبقعة واقفة الى جانبه ، وقد اخذت العين تخف شيئا غريبا . ولم تلبث ان جفت نهائيا قبل عصر ذلك النهار .

ولبث دخل الله غالبا عن الوعي ثلاثة ايام ، والقرية كلها في حيرة من امره وامر العين التي انقطع فيها الماء

نجاة ، فاصاب القرية بالظلم الشديد .
ولم يشأ دخل الله ان يخبر احدا بآمره بعد ان صحا من غيبوبته . وظل يزداد تحولا يوما عن يوم والحادثة

الرهيبة لا تبرح خياله في ليل او نهار .
واشتد الضيق بانقرية من جراء جفاف العين ، وراح الجميع يلحون على دخل الله لمعرفة السر . وظل يتمتع

ويتمك اربعة اسابيع كابلة . لا يزيد فيها على ان يقول في هديان : « الجيبة : حورية الماء » .

ولكن العطش الذي اصاب القرية كلها ، بناسها وحيواتها . وحفولها وبساتينها ، لم يدع لدى دخل الله

سبيلا للمقاومة .
وفي صباح احد الايام استيقظت القرية لتجد ماء

العين قد عاد يتدفق صافيا مترقا كعادته ، ولكن دخل الله لم يكن له في القرية من اثر .

معروفا بدمائة خلقه وشدة بأسه في آن واحد : سهل العشر طليه مع الطيبين ، ولكنه خشن شديد على من لا يستحقون حسن المعاملة .

وكان حلم العذارى في القرية ، تمنى كل واحدة منهن ان يكون هو نصيبها ولكنه من بين بنات القرية اختار (فضية) وحدها . فضية تلك كانت جسامته ، ورفيقة العالمة منذ الطفولة . لقد كان في الطفولة كثير الخصاص معها ، ولكنه كان حين يلعب الاطفال لعبة العريس والعروس لا يختار سواها عروسا ، وحين كبرا ظلت العالمة الطفولة تلهب خياله ، وتعيده الى عروس العالمة القديمة . وهكذا اختارها لتكون عروسه فعلا .

كان دخل الله قد خطب فضية منذ شهر ، وقد اخذت العروس تستعد للزفاف القريب الذي لم يسبق

على تمامه سوى شهرين ، ثم تهرج بيت والدها لتعيش مع دخل الله في بيت واحد ، وتصبح ملكا له بجسمها وروحها ، وبحياتها كلها . لقد اصبحت السعادة قريبة

المثل لدى دخل الله وفضية ، معها يتهيأن لها بكل جوراحها ، ويتربعان موعدها بشوق ولهفة .

في احد الايام كان دخل الله على ظهر بقلته تبيل طلوع الفجر ، في طريقه الى الاحراش البعيدة لجلب

الحطب من هناك استعدادا لفصل الشتاء القريب ، كعادة القرويين في كل خريف . وبضى في طريقه الى

العين ليسقي دابته ، فما كادت البقعة تجد رأسها الى الماء لتشرع حتى اجملت وكاد دخل الله يستخرج من

ظهرها . فالتفت حوله ، واذا عند فم المغارة الصغيرة التي يتدفق منها الماء فتاة ذات جمال باهر ، يتدلى

شعرها الاسود حول وجه يلمع في العتمة كالقمر المشرق ، وعلى ثغر الفتاة ابتسامة حلوة فاتنة .

فنزّل دخل الله عن ظهر البقعة ، وقال دهشا :
— من انت اينما الفتاة ؟ وماذا تفعلين ههنا في هذه

الساعة من الليل ؟
فلم تكب الفتاة الجميلة عن ابتسامتها ، ولكنها

لوحث ببدها البيضاء المشرقة تدعوه الى اقتراب منها ، ثم قالت : —

— تعال ! لا تخف مني ! تعال ، اقتراب الي !
فتسمرت قدما دخل الله في مكاتها ، وشعر بخوف

شديد . ولكن الفتاة عابت تقول له بصوت ملؤه الرقة والتعومة .

لماذا تخاف مني ؟ تعال الي ! انني انتظرك من زمان !
— تنتظريني من زمان ؟ ولكن من انت ؟ ومن اين

اتيت ؟ انني لا اعرفك !
— وكما تحبك فنيات القرية كذلك احبك

انسا ! انني حورية هذه العين ، احبها واحافظ على

العيون المحترقة

بنظم :

فاروق شوشة

في عيني المحترقة !

الملك أن اختار .. ولكن ماذا اختار !
الشوق الرابض في العنين وفي الشفتين
والعمر الذائب خلف الوهم كطرفة عين
وسواك ! الملك أن اختار سواك
كجدار بلال بنهار ..
يا وجه ربوبي اسمع بالتواور
وحبك لي .. وجه الاقدار
من الملك أن يسمع هذا القدر الموهل في انسان
هذا الانقياع الغامر كالطوفان
هذا العبد بلون الاشواق او الاحزان
جلد .. او لا .. سبيل !
الملك أن اختار .. ولكن ماذا اختار !
سبب اللحظات المختقة
سبب .. في عيني المحترقة !

ارجع كل صباح
كل مساء ..
لا اعرف الا انك لسي
هذا الوجه الماتوس الباقى
من احزاني
من نيراني
من كل رمادي ودفاني
ارجع ... لا افكر مما فات ولا بما سيجه
الا انك وحدي لي
قبسا من عيني يضيء
عطرا في كفيه افسى
وهجا يسمعتني .. يسمعتني
ملء اللحظات المختقة
يا نور العالم في قلبى
في قاع عيوني المحترقة !

في وهج الشوق اللامع ماذا تملك عينايا
في صمت اللحظات المختوقة في الاطراق
أرسلو ...

لا تملك كفايا

أن تليس هذا الوجه الذائب في الاشواق
اغضو ...

توشك أن تهدد بدايايا

يوشك أن يتفجر السميت .. وان تسطخبط الاعماق ..

يوغفني شيء ساج في عينيك

يكفى اني بين يديك ..

اكرم صوتي .. صوت هوايا ...

ماذا يبقى من هذى اللحظات المختقة

الا وهج دام ...

يبقى في عيني المحترقة

الشوق بحار ومدائن
الشوق عيون مسحوره
اطياف تولد كل مساء
وتسرف ... بقايا اسطوره
شيطان بلاد معبوره ...
الشوق .. قلاع وسفائن
تمخر هذا البحر المائج في قلبى
يجعلني ...
ما دامت عيناك جناحي المزهوين
ينقلني ..
للوعد الصابت في شفتين
يبعثني ..
لا ادري كيف وفيهم واين !
الشوق طريق مسعموره
تقلت دسائ واعصاي
تشعلني .. تشعل اهداي
تسلمني ابدأ للحظات المختقة
وهجا ...

البليزة في الشـ

في نهاية الشرف :
إذا ما اعتر ذو علم بعلم
فعلم الفقيه أولى باعتزاز
وكم طيب يفوح ولا كمسك
وكم طير يطير ولا كبحار
وقال الوعيلي في ذلك :

ليس المقام بدار السل من شيم
ولا معاشرة الإنزال من همم
ولا مجاورة الأوباش تجمل بي
كذلك الباز لا يابى مع الرخم
حتى أنه أصبح من الأمثال السارية في الشعر
الفارسي أن الباز لا يطير إلا بأبناء جنسه . وأن أراد
الشاعر أن يعبر عن الوحدة المطلقة يقول « انه في جو
الوحدة يطير البازي مع الحجل أو مع الحمامة » أي لم
يبق فرق بين الاجناس المتضادة أو المخالفة للطبيعة .
وقد قيل أيضا أن « البازي في المنام يدل على سلطان
لن هو من اهل الامارة وان ذهب من يده وبقي منه
ساقته ذهب ملكه وبقي ذكره . وا نبقى في يده شيء
من الريش بقي في يده شيء من المال » . لذلك سمو
الامير عبد الرحمن مؤسس الدولة الاموية في الاندلس
« صقر قرش » .

ونحن نقرا في اشعار ابي نواس وابن المعتز وغيرهما
وضعهم لهذه الجوارح الكبار ، امثال البزاة والصقور
والشواهيين واليؤيؤ ، كما قال ابو نواس :

ليؤيؤ يعجب من رآه

ما في الروابي يؤيؤ سواء
ازرق لا تكذب عيناه

ونجم من تأليفات الجاحظ وعجائب المخلوقات
للزويدي وكتاب الحيوان للدميري معلومات كثيرة عن
الجوارح ، والذ بعد ذلك عدد لا يستهان به من
التخصصين بالصيد رسائل تحتوي على معلومات مفيدة

ان حب الجوارح ، سواء اكانت بزاة ام صقورا ،
عم جميع بلدان العالم في القرون الوسطى ، وتنافس
الملوك والامراء في تربية البزاة وتهذيب الشواهيين ، ولا
زالت بعض البلدان ومنها الكويت والسعودية والعراق
تصطاد بالصقر ، وتنتشر في بعض البلاد الاوروبية
جمعيات البازدارية وان كانت قليلة الاعضاء .

يدل على اهمية الجوارح في القرون الوسطى ان
الامراء كانوا يهدون البزاة والصقور لمن ارادوا جلب
الصقور الى قلبه والتفريج عن روحه . وقد اخبرتنا
كتب التاريخ ان يعقوب بن الليث الصنار صاحب
خراسان كان قد اهدى الخليفة المعتمد هدية من جلقتها
عشرة بزاه ، منها باز ابلق لم ير مثله . ولم يزل لوجه
عمرو بن الليث يرسل التحف النفيسة للمعتد بالله
من سنة ٢٨١هـ - ٨٩٤هـ الى سنة ٢٨٦هـ - ٨٩٩هـ
في كل سنة هدايا جمّة منها « عشرين بازاً » او « بزاة
كثيرة » او « ثلاثين بازاً » وكانت مقبولة جدا عند
الخليفة ولها « خطر وقيمة » . وقال بعض الذين ارسل
بازا في يوم العيد الى الامير محمد بن عبد الله بن طاهر :

ومع رسولك اليك باز
أبرش ذو مخلب حديد

جملته تحفة العيد
لأصاك بالطالع السعيد

وكانت البزاة من الهدايا الكبيرة القيمة لا بين ملوك
العرب فحسب بل بين ملوك الغرب والشرق ايضا .
كما قال مؤلف كتاب التحف والهدايا ان برنستابت
الاوتاري ملكة مملكة الفرنج (وهي المملكة برنساون
التوسكانا ٨٦٠ - ٩٢٥م) بعثت الى الخليفة المكنفي
رسولا معه تحف نادرة من جلقتها « خيسون سيفا ،
عشرة كلاب كبيرة لا تطيقها السباع . وسبعة بزاة
وسبعة صقور .. »
وتليق هذه الطيور بالملوك ، لانه يشرب بها المل

سرق والغرب

تقلم : رياض بولص يعقوب

المتوفى سنة ١٢٥٠ ، وهو من اجل ملوك الغرب واكثرهم تبالسا بالعرب الذين كانوا قد حكموا جزيرة صقلية مدة طويلة قيل ان يقتحمها اهل الشمال . ونجد في كتابه الضخم الذي كتبه باللاتينية تفصيلات عن تفرعات تربية الجوارح وتهذيبها ، وكثيرا مما ذكر في الكتاب يوافق ملاحظات العرب الا انه لم يكرر الخطأ المشهور بان لا يوجد من البازي الا الانثى ، ولكنه اثبت « ان الموائد الكبير الجثة المعتبر في الصيد في جميع اجناس الجوارح هو الانثى » . وهو يصف ايضا الوان الجوارح واشكالها بدقة متناهية ، ووصفه قريب من وصف المؤلفين العرب للبزاة وسائر الجوارح ، ونجد فيها الصقر خاصة . وقد قال الدميري ان العرب تسمى كل طير يصيد صقرا ما عدا النسر والعقاب ، يضرى على الغزال والارنب ولا يضرى على الطير لانها تقوته ، وهو اهدى من البازي نفسا واسرع انسا بالناس واكثرها قناعة . ومعناه في الرؤية العز والنصر على الاعداء وبلوغ الامال .

ومن جنس الصقر على ما قالوا السنقر ، وهو اشرف الجوارح . وهو يجلب من الشامي مغاليا في اثباتها ، وكان الواحد منها يباع بالف دينار ، ثم نزل عن تلك المرتبة ، وهذا ما ذكره مؤلف مصري في القرن الخامس عشر .

ومن جنس الصقر ايضا الشاهين الذي كان محمودا في بلاد الهند ، ومنه البؤيؤ السريع الطيران . قال فيه بعضهم :

**ويؤيؤ مهذب رشيق
كان عينيه لدى التحقيق
مدار مخروطان من عقيق**

ومنها ايضا الباشق الخفيف المحمل الظريف الشمال الذي يلقي بالملوك ان تخذه لانه يصيد اخر مما يصيده

عن اخلاق الجوارح وما يحدد منها لونا وشكلا . وعلى ما تعلم كان اول كتاب في تربية البزاة والكلاب ترجمة من تأليف يوناني في العصر التاسع وكان المسلمون في ذلك الزمان في حروب مع اهل بيزنس ، وقال لذلك الشيباني الفقيه المشهور المتوفى سنة ٨٠٤م : « ومن وجد من البزاة في دار الحرب فهذا او بازيا او صقرا غير مملوك لاحد فاخرجه الى دار الاسلام فانه يجعل ذلك في الغنية » وقال القزويني ، وقد جمع المعلومات التي عثر عليها عند المصنفين كلام في البازي اشد الجوارح تكبرا واضيقها خلقا ، يوجد بأرض الترك . لا يكون البازي الا انثى ومن هذا النوع ما خلق الله الذكر ، ذكرها يكون من نوع اخر . وان كان الغالب على لونه هو البياض فهو احسن البزاة واحلاها جسما واجراها قلبا واسهلها رياضة ، والاشهب لا يوجد الا بأرض ارمينية وارض الخرز . وقد سمي العرب القمح الاسود ، وهو ذو ازهار بيضاء مثل الريش « صدر البازي » . وقال الدميري ، واجتمع على ذلك المؤلفون بان احسن انواعه ما قل ريشه واحمرت عيناه مع حدة فيهما . ودون الباز الاشهب الازرق الاحمر العينين والاصفر دونهما . الا ان صاحب المصايد والمطارد يفضل الاحمر الاكثر سوادا الغليظ في خطوط الصدر ، وهذا ما يحدد عادة في الصقور لا في البزاة .

اما اهل البيزة في الغرب فقد فضلوا الباز الاشهب على جميعها . وقد ألف كثير من العرب والعجم كتباً في اوصاف الجوارح حتى انه كان من واجبات كتاب الدولة ان يعلم صفاتها . نقرأ ذلك في صبح الاعشى للفنشيدي . اما الكتاب الاكثر تفصيلا في هذا المضمار فهو « كتاب صناعة الصيد بواسطة الجوارح » الذي ألفه الامبراطور الالماني فريدرخ الثاني ملك صقلية

الجوارح في الليل وينهض من نومه قبل السحر ، وهذا ما نقرأه ايضا في الاشعار اذ وصف ابن المعتز الصيد :

قد اغتدى او باكرا باسحر

ونحن في جيلاب ليل كالقار

ولا يكن البازدار مغربا بالاكل والنهام الاطعمة اللذيذة ، ولا سكريا مدبنا على الخمر ، لان الخمر تنسيه الاعتناء بالصوري ، ولا صاحب مده ولا غصوبا او كسلانا مهلا في اعماله .

هذا ما طلبه الامبراطور الالماني ببارداريه .

ومن اهم ما نستنتج من رسالته هو دور العرب في تعليم الزباز وخاصة ادخالهم غشاء الباز . وقد كان اهل الغرب يغلقون عيني الباز المحبوس قبل ان يربوه ، ويخطون اجفانه بابر وخيط لئلا يرى وجه الانسان ، وبعد ان يتم تهذيب الباز يفتحون له عينيه فيرى كل ما في العالم ، وقد قال الامبراطور في الباب السابع والسبعين من كتابه :

« ان غشاء الباز من مخترعات اهل الشرق وعمل بها اولا — على ما كان معلوما عندها — العرب . ونحن لما سافرنا عبر البحر راينا استعماله ودرسنا طريقة وضعهم هذا الغشاء على رؤوس البزاه . واما ملوك العرب فلم يكتفوا باهدائهم لنا انواع البزاة فحسب بل ارسلوا غشا البزاهة الذين يعتبرون اختصاصيين في استعمال الغشاء . وانا منذ اول عزمننا على كتاب رسالة كيلة في البزرة ادخلنا — مزيدا على منابع العلم المتحور — صواري ورجال ماهرين في هذه الصنعة جاء بعضهم من بلاد الغرب وبعضهم الآخر من سائر البلدان ، وحصلنا منهم على كل ما عرفوا من علم . ولما كان استعمال الغشاء افضل ما لديهم من مناهج التهذيب قبية ، ولما شاهدنا فائدته العظيمة في تربية الصقور ، اتخذناه لبزائنا واستحسنناه حتى ان معاصرنا اخذوا منا طريقة استعماله .

ومعنى ذلك ان العرب هم الذين بداوا بهذا المنهـاج المفيد الذي حل في القرون الوسطى محل المنهـاج القديم ، يعني اغلاق عيني الباز لدة تدجينه .

ونعلم ان هناك رسالة لابن سيناء في علوم الطبيعة ترجمها مايكل سكوت في زمن الامبراطور فريدرخ الثاني ويفلب الظن انه قام بهذه الترجمة بامر الامبراطور . وايضا ترجم دانيال الكريوني رسالة عربية لابن هذا الامبراطور الذي وصفه الشاعر الالماني بريكه في احد اشعاره ، كيف املى رسالته في البزرة وكيف كان يصرف اكثر اوقاته في تهذيب الباز الوحشي الجميل ، حتى ان قلبه كان يطير مع البزاة اذا خرجت للصيد .

وقال ابن مقلي ان اول من صاد بالبازى هو ملك الروم ، وذلك انه رأى بازا اذا علا كف وزا سفل خفق ، واذا اراد ان يسو ورق ، فتبعه حتى وقع على

البازى . ومنها البندق ولا يصيد الا العصفار . وهي كلها حادة المزاج واحسنها خلقا تلك التي يقع مولونها في الشمال ، ولا يسهل القبض على هذه الجوارح وتربيتها . وقال احدهم ان من فضائل الباز « ان الصيد فيه طبيعة لانه يؤخذ من وكرة فرخا من غير ان يكون قد اصطاد من قبل مع ابويه . فيصيد ابتداء وقريحة من غير تدريـة ، بخلاف الصقر فانه اذا اخذ قبل ان يتصيد مع ابويه لم ينجب ولم يصد ، واذا كان قد لحق ابويه وصار معهم ثم عود اكثر مما يوجد عنده في تلك الحال وجرى على ما هو اكبر من الظباة اعتاد ذلك ومهر فيه» . وقال الامبراطور فريدرخ انه من المفضل ان لا يؤخذ الفرخ من عشه بل ان يقبض على البزاة الكبيرة ، ولو بتأوع المصائد ، لانها اكثر فائدة من صغيرها مع صعوبة ذلك .

وقد سلخوا في قديم الزمان طرقا مختلفة للقبض على البزاة والصقور ، وبعد ان ملكوها ابتدوا بتربيتها وتهذيبها ، وهذا من مهمات البازدارية . وعليهم ان يعملوا كل ما يختص بالجوارح التي في حيازتهم كما وصف ذلك ابو بكر الاشعري — مثالا لسائر المؤلفين — في كتابه : مثلا تقديم الطعام للصواري على طبيعة كل شيء منها ، امتحان الصواري ، سياسة الصواري النظرية والاجابة ، احسن البازى اجابه ، ارسال البازى الصغير وتجسيره على الصيد ، تدبير البازى اذا قل حرصه على الصيد ، تجسير البازى على عظام الطير ... تدبير البازى اذا قترنص ، اضمار الطير بعد خروجه ، معرفة صحة الطير ، دلائل امراض الطير .

وقد عدد الامبراطور فريدرخ في مقبنة الكتاب الثاني لرسالته المذكورة صفات البازدار وايضا في الباب السابع والاربعين من هذا الكتاب ، وقال ان على البازدار مهمات كثيرة مختلفة الاتواع ، فهي ان يهذب جوارحه ادق تهذيب لكي تبقى معه وتنفذ خوفها الجبلي من الانسان ، وان يعلمها صيد الطيور التي يختارها هو لا غير ، وهذا لا يسهل لانه ضد ميلها الطبيعي . ولذلك يتطلب من البازدار ان يكون حائزا على كثير من الصفات المحبودة ، ان يكون متوسط القامة لا بطويل ولا بنحيف ولا بسمين ، ذكرا عاقلا ، صبوراً غليظة الصبر ، ذا ذاكرة قوية يتذكر اخلاق بزائه المختلفة ، بصيرا يرى صقوره ولا يفقدها ، ذا سمع مرفه يدرك اصوات الطيور وصوت الجرس الذي في رجل بـزازه ، ذا صوت عال تسمعه البزاة من بعيد ، خفيف الحركة ، يتقظا ، جسورا ، يستطيع السباحة ، ولا يؤخذ الشاب لهذه الوظيفة بل الرجل المكتبل لان الشاب قليل الصبر لا يجب الا الصيد الموفق وربما لا يبالي بالنظام المقرر لتهذيب الصقور . ومن صفاته المطلوبة ان يكتفي بالتوم الطليل ولا يستسلم للنملاس ، لانه يفتش عن

شجرة فاعجبته صورته فقال هذا طائر له سلاح يزين به الملك ، فامر بجمع عدد من البزاة وجعلها في مجلسه ، فعرض لبعضها طير قوئب عليه فقتله فقتل هذا ملك يغضب كما تغضب الملك .. وقد قالوا ان اول من اصطاد بالشاهين هو تسططنين ملك الروم . وكانت الشواطين قد ربطت له وعلقت ان تحوم على راسه لتظله من الشمس وتحدرد مرة وترتفع اخرى ، الى ان ركب يوما فطار طائر من الارض فانقض عليه شاهين فاعجب الملك ذلك فضراء على الصيد . وقد قال ابن عفر كانت بلوك العرب اذا ركبت في مواكبها طيروا الشواهين فوق رؤوسهم ، وكان ذلك عندهم هو الرتبة العظيمة .

ولا شك ان الروم هم اول من الف رسائل في الببيرة واخذ العرب عنها اشياء مهمة . واضاف المؤلف قائلا : واول من اصطاد بالبيوئ هو بهرام جور الايراني ، اي ان الصيد لهذا الطير مخصوص بالايرانيين . واول من ولع بالعقاب هم اهل المغرب . وقيل ان تقيصر اهدى كسرى عقبا وكتب اليه علمها فانها تعمل عملا اكثر من الصقور التي اعجبك .

ونرى من ذلك انه قبل ان يقوم الابطراطور فريدرك بتأليف رسالته في النصف الاول من القرن الثالث عشر ، كان اجداده من الملك قد اشتغلوا بهذه الصنعة الصيلة .

وكان شارلمان معاصر هارون الرشيد قد نشر قانونا امر فيه بحماية الببيرة . وكان الملك هنري الرابع (المتوفى سنة ١١٠٦) وكذلك الملك فريدرك بارباروسا (صاحب اللحية الحمراء المتوفى سنة ١١٩٠) انتشاء الحروب الصليبية يجبان البزاة والببيرة . وتجد اسماء فيليب اوجست الملك الفرنسي (المتوفى سنة ١٢٢٣) وهو محالف لفريدرك الثاني وصديق له ، ورات الببيرة

رواجا في انكلترا حيث اعنى بها الملك ادوارد الثالث (المتوفى سنة ١٣٧٧) ، حتى ان اراهية — رئيسة دير ، اسمها جوليان برنيه الفت رسالة في الببيرة . ولا ننسى ذكر اسم شارل الخامس الابطراطور العظيم (المتوفى سنة ١٥٥٨) في قائمة الذين عملوا بهذه الصنعة .

وتجد الان في المانيا في جوار كثير من المدن الصغيرة محلات صغيرة تدعى « مطعم الضير » وكان الملكو والاه الرئاسة يجتمعون هناك للصيد بالجوارح . وقد نشر طبع الترجمة الالمانية لكتاب « صنعة الصيد بواسطة الجوارح » تأليف فريدرك الثاني في سنة ١٧٥٦ في مدينة انسباخ بامر اميرها المشغوف بالببيرة . ويروى لنا عن قرية صغيرة في بلاد الفلمنك اسمها « فالكفرت » اي ثل البزاة ، وكانت مركزا للببيرة في اوربوا مدى قرون طويلة اخصها اهلهما بالقبض على البزاة وتهذيبها . ولم تزل الببيرة تلعب دورا حتى في

عصر الطائرات النفاثة ، فان بعض الطائرات الغربية من البحار والمحيطات تتجهب فيها اسراب الطيور وخاصة اسراب النورس ، وهي تلحق بالطائرات واضرارا بالغة الخطورة اذا ما اصطدمت فيها بالجو ، وعلى هذا فقد اوصت الحكومة الكندية احد المتخصصين بالببيرة بتهذيب اربعة بزاه . غرباها وضربها على اسراب النورس في بعض مطارات كندا ، فاذ اقترب هذا الطائر الجارح من النورس تخاف منه وتهرب ، وقد انصرف الكثير منها عن المطارات بعد ذلك .

اما في الشرق فكانت للببيرة اهمية اكبر منها في الغرب . فقد بلغت في دور الخليفة العباسي المتوكل نفقات ارزاق المتخصصين في تربية الكلاب والبزاة والنفود خمسمائة الف درهم في السنة . وحتى ماركوبولو السائح البندقي المشهور انه لما جاء لزيارة الخاتان تيرلاي سنة ١٢٩٠ ما يقرب من عشرة الاف من البازدارية او ما يشبههم ، وكان لكل باز يملكه الخاتان امرا يدون امرأوه لوحة صغيرة فضية في رجله مكتوب عليها اسم صاحبه . وقيل لما سئل اولاد توبلاي خان : اين تجدوا كمال اللذة ، اجابوا : في الصيد وتطير البزاة .

اما غازان خان خاتان المغول في ايران فكتب المؤرخ رشيد الدين انه اخرج نظاما جديدا لاهل الصيد والببيرة لانهم قد اؤذواوا شقاوة وظلما فقطع نفقاتهم وامرهم بان يرسلوا من الولايات الايرانية الف باز مهذب وثلاثئة منه الى مراكز الحكومة . ويبل على حب المغول والاثراك للببيرة والصقور ايضا اسماءهم ، فكثيرا ما نجد من سموه باسم طير جارح ، مثلا سنقر ، آدم سنقر (السنقر الاشهب) ، لاجسن ، بلبان ، ملغرل وسا شابه ذلك . وقد صور احد الرسامين الاميراي سنقر يحمل الباز وقال فيه الشاعر انه يحمله لكي يصطاد به قلب العالم .

وفي بعض الاشعار نرى الباز كمثل للسلطة ، لذلك يشبه الشاعر نظرة العين القاتلة بالشاهين ، او يصف جذبه الوجد بباز يقبض على الطائر ويحمله الى السماء ، ونجد ايضا التعبير « باز الاجل » الذي يسلب الروح من الانسان ، ومن الطبيعي ان ابن الرومي وصف (باز العشق) الذي قبض على قلبه المجرور وطار به الى اللانهاية .

وان اهل الببيرة الذين قد تعلموا الحلم والصبر وحسن النية عند تهذيبهم الجوارح كذكك يهذبون قلوب امراء العرب والعجم ، حتى صار حب الببيرة من صميم الروابط بين الشرق والغرب في القرون الوسطى لان كل من اشتغل بهذه الصنعة فهم معنى الصراع المشهور .

وهل ينهض البازي بغير جناح .

من أعلام الشعر النبطي

شاعر الكويت

فهد بن راشد البو

بقلم: عبدالله الخالد الحاتم



ARCHIVE

وغيرها ، كاد المترجم له ان يبلغ أعلى مرتبة في هذا المجال ، لولا ان تفراته واستسلامه لدواعي الضررة اهابت فيه روح النقد والشاعر الفذ ، وحطبت فيه صرح التفكير حتى اصبح شعره مجوجا لا معنى له اطلاقا واقبل على تعاطي الضررة اقبال المدينين ، وسبب له هذا الاديان تدهورا كبيرا في صحته ، وانحراما في قواه العقلية مما اضطر ذوهه الى السعي لدى المسؤولين لاحتجازه في سجن الابرار العقلية مرارا عديدة ، لمنع من تعاطي الضررة ولو مؤقتا لايقاف هذا التدهور او ربما يعود اليه تفكيره ، ويحس بالنتائج السيئة ويمتنع عنها نهائيا . ولكن شيئا من هذا لم يحدث بل ازداد تماديا واصراراً حتى قضت عليه . وللشاعر قصائد كثيرة بمنتهى الروعة ، نظمها وهو في سجنه وكلها شكوى واستعطاف تارة يخاطب نصف يوسف النصف ، الذي كان يومها مديرا للصحة ، وطورا يخاطب شقيقه حسين البورسلي ، ومرة يستنجد بالشيخ صباح الاحمد الجابر واخرى بالسيد يوسف الاحمد الغانم واحيانا يخاطب بعض اصدقائه من ذوي الكلمة المسموعة ، قال من قصيدة :

ان الحديث عن هذا الشاعر يفتحنا الى الحديث عن فترتين متناقضتين ، قضاهما الشاعر في حياته ، الفترة الاولى وهي التي ستعال العناية والقسط الاوفر من حديثنا . اما الفترة الثانية والاخيرة من حياته فلا تستحق الذكر ، فهو فيها اقرب الى الاموات منها الى الاحياء وهي اشبه ما تكون بصورة معكوسة للفترة الاولى .

عاش المترجم له في اول حياته كما يعيش غيره من الشباب في اسرة محافظة كغيرها من الاسر ، وكان والده من رجال البحر الانقاذ ، وهي المهنة التي كانت شائعة في الكويت آنذاك ، ولم يحصل على شيء من العلوم عدا القراءة والكتابة السائدتين في ذلك الحين ، وهو ذكي شديد الاحساس بحاد التفكير والطبع خصب القريحة ، ينظم الشعر ذوقا ما كلفة ولا تعقيد ، جسد الشعر ، متين البناء ، عذب الاسلوب ، نادر عفيف في قالب هزلي ، ويسميه اهل الكويت (بالشاعر الموهوب) حصل على شهرة في الكويت وفي خارجها ، قلما يحصل عليها شاعر معاصر وحصل ايضا على جوائز مالية قيمة من امراء ال سعود والكويت والبحرين



رسلي

ARCHIVE

يا نصف انصف بين عاجل ومجنون
ما يجهلك درب السنع والمدالسة
خلبتوا الخلان فيني يشكون
راعبي العقل واللي مصلع اهباله
انا قراري عشرة ايام ما يزيدون
واليوم شهر الصوم حروة اهلاله
الشاعر اللي قال وانتم تعرفون
(الرجل بالواجب لسانه اعقاله)
عنيت لك مستصح وابقى العون
شايف جميلك وانت تدى الجماله
واشحاله العاجل الى صار مجنون
لو في مصح (هولين) دور بداله
هل كيف انا ما بين ناس يصلون
اسهر ليالي ومتحمل حماله
وان كان عذر وببي على ما نظنون
بامر الولي كل بصير بحاله
واليوم لا معصوم كامل ومتكون
الا الكذي نزلت عليه الرسالة
طالبك في جاه النبي سيد الكون
وبجاه يوسف والدك مع خواله

عنقده زهرين يا ابو عثمان مرهون
من عقب ذيج الحال يفكر بحاله
ماني بهرهون ولاني بديون
او كافل غيري وخت الكفالسة
وقال ايضا والخطاب لاخته حسين ابو رسلي :
يا حسين دمع العين مثل الهمايل
صبح ومسا مثل السحاب مطرعا
والنفس عيه ما تفيد التعاليل
والقلب عنه الكدر من كدرها
ما تجري الدمعه من العين وتسيل
الا وهي تشكي ليالي سهرها
يا قلب لا تخطي على النفس وتعيّل
بك ما كفك وخلها في قهرها
شئ صدمني قلت منه التمايل
من صدمته عيني كراهها هجرها
وشحالة العقال بين المهايل
الله يمين اللي لياه صبرها
لا طارش جاني ولا من مراسيل
على شهرها قام يمضي شهرها

ودشيت في سجن على الباب بواب
يا خالجي ترحم مريض ومسجون
وين الجماعة والرفاقه والاصحاب
تفيرا وش عليهم ما يمرون
ربع الفراهيه بلا عد واحساب
والضيق خيسنة عند الافلين يصفون
ما لي بهم عن قريهم خاطري طاب
يسلم اهديب ويسهل الامر ويهون
والظن في فكك الانشاب ما خاب
يا ما عنيت وشفت الافراج بالمعون
الله يجيره من تصارييف الاسباب
صباح ابو ناصر دواكل مطعون
من لاذ به من ضيم الايام ما هاب
احكي على ما شفت والناس يدرون
قم بالنديب اوصل العلم بكتاب
خل هجن واركب من (الدوج) صالون
شرج على دسمان مدهان الانجاب
قصر سما مجده عن النذل والهون
دق (الهرن) واجف ولا تاصل الباب
تلقا الخدم في ساحته يستديرون
وانشد عن الالي للثنا بيل حساب
يجيك ابو ناصر حجا كل مهون
سلم عليه ولا تذير وترتاب
عطه الكتاب وبلغه بكل مضمون
قل له فهد قلبه من السجن منصاب
خطر اهومه خضر العقل بجنون
اجري رهايا بين ظفر ومخلاب
ومن حالتي كل الملا يستغيثون
يا شيخ شاب الراس مني وانا شاب
بطلت عن حق ولو كان مليون
ما هنيي دنيا ولا دين طلاب
الى سلم شخصك عساهم يولون
وتصائده التي نظلها في سجنه كثيرة لا بحال
لذكرها في مثل هذه اللحمة وكلها تحكي قصة فتركالحة
من فترات هذا الزمن التي مرت في حياة هذا الشاعر
البائس الذي لم يجد في هذه الحياة ما هو جدير
بالاهتمام . فكان يلجأ الى الخبرة ويفزع اليها في معظم
اوقاته لا لشيء سوى الهرب من واقع هذه الحياة
المرير الى عالم الخس والخيال . وما ارحب هذا
العالم واجدره بالبائسين .
ولا اجد اسبق دليل على يؤس هذا الشاعر وحرماته
حتى من ضروريات الحياة من هذه القصة :

(1) يسادي : يساوي

(الدباب) المقصود به السجن ..

من ضيقة خاطر تهضت بالجيل
دنيا يسرها ما يسادي دهرها (1)
وقال من تصيدة مخاطبا يوسف الاحيد الغاتم :
شركى لسى التورا جسي الذي يسا
وبل التورا دمعى الساكبا
ظلمني زماني بليلا دليل
ولاني مريض ولا مذبنا
لحا الله ظني وحسن الظنون
انا من ظنوني جنبت الوبا
تعنيت للصحة اشكي تحول
وظنيت شور المدير اطييا
شكيت الضرر عندهم والتجيت
ولا شفت الانصاف والواجبا
سعوا لي ببلجا نهاره ظلام
وليله من المسكن المربها
محل به المرء يسي شباب
تصاهل من الصبح للمغربا
يمينك يسارك عبيد وحديد
تصاهل من الصبح للمغربا
ومنها : -

تذكرت ربعي جنوب وشمال
ولا شفت خل ولا صاحبا
تذكرت شخص ولي به ملاذ
على الطيب اقرب من الحاجبا
حليف المكارم حميد الخصمال
من الحظ عن تكبي غايبا
ملاذي بو عبد الله اتني عليه
حجا للبعيد وعلى الصاحب
الوذ بجانبك وداخل عليك
على العطف معروفك ماغب
نخيتك ولا لي ملاذ سواك
تفكك قيودي من المسفبا
ولا غير يوسف دراى ورجباي
فراق الاهل كدر المشربا
وقال في الشكرى والخطاب للشيخ صباح
الاحيد الجابر :

يا الله يا فكاك عسرات الانشاب
يا مفرج الضيقات يا مبر الكون
تفرج الكل حل فيه التلهاب
سهران ليلي والدامع يهاون
خيسة عشر ليله منامي بدباب (1)
انسا سهر والاخلاج ينهامون
واسباب ما بي من احوالي والاغراب
حقي كلوه وتالي الحق يشكون

الحسن

من

الوجهية

الببولوجية

بقلم : ادولف بورتمان



ليست الكائنات الحية ، بماضيها وحاضرها ، سوى النصوص
الاصيلة التي يبعث عالم الاحياء عن المعنى الدفين بين طبائها ، حتى
اذا تجمعت له كمية لا بأس بها من الحقائق العلمية الموثوق بها
اصبح من الممكن ان تبديل ايسر معارفنا عن الحياة بصورة غير
منتظرة .

ولهذا مما يسترعى اهتمام عالم البيولوجيا المحدث غرابة المنهج
الذي فسر به اسلافه في القرون الوسطى شكل الحمامة مثلا ، حيث
يقول في هذا الصدد عالم القرون الوسطى الاوربية « هوج دى سانت
فكتور » : « للحمامة جناحان كما للمسيحي طريقان في الحياة ،
احدهما ايجاني والاخر تأمل . أما الريش الازرق الذي يكسو
جناحيها فيذكرنا بالافكار السماوية ، ويمثل توزيع الالوان ويريقها
في سائر جسدها - الامر الذي يربط اذهاننا بالبحر الهائج - محيطا
هائجا من العواطف والانفعالات البشرية التي تنشر الكنيسة فوق
اشرعة سفينتها . ولماذا نجد للحمامة عينين يميل لونهما إلى الاصفر
الذهبي ؟ لأن اللون الاصفر هو رمز النضوج والخبرة . فمسن
خلال ذلك اللون الاصفر الذهبي الموجود في عيني الحمامة تنطق
النظرة الحكيمة التي تلقينا الكنيسة على المستقبل . »

وليس مهمتنا في هذا المقال ان نعرض لذلك التطور المهول
الذي طرأ على العلوم الطبيعية منذ العصور الوسطى الاوربية حتى
الآن ، وانما مهمتنا ان نعرض ما اسفرت عنه الدراسات الاخيرة
القائمة على ملاحظة وتسجيل الحقائق التي لم تلق حتى الان العذر
الكافي من اهتمام العلماء المحليين واعترافهم أو - على ما يبدو
لنا - انها لم توضع وتفسر بعد بصورة صحيحة . أي اننا ، بعبارة
اخرى ، نجاول هنا ان نكشف النقاب عن الكائن الحي على ضوء
آخر البحوث العلمية . نحن نتهج لمراى الازهار وان كانت
غالبا ما تختلف اجاباتها على السؤال الباحث عن المعنى أو الفرض
الذي من اجله تنبت هذه الازهار وتفتتح . وهنا تتدخل الدراسات
العلمية لترفع من قدر بعض الاحتمالات على البعض الآخر ،
مقررة ان وجود هذه الازهار يخدم حفظ النوع ، واما فتوح
الازهار فينتطوى على هدف معين هو اجتذاب حاملات بذور
التلقيح من الحشرات والطيور والخفافيش وغيرها بحمال شكلها
وطبيعتها رائحتها . وطالما اولت كافة مدارس علم الاحياء جل
اهتمامها لاكتشاف مختلف الظواهر التي تدل على وجود هذا

الهدف التلقيحي في الزهور . كما اثبتت التجارب المعملية ان
الحشرات الحاملة مبذور التلقيح ترى الالوان وتميز الروائح .
غير اننا لو تأملنا بعض الفترعات الخارجية عن شكل الزهرة ،
وهي تلك التي تلعب في التجارب دور البديل بالنسبة للزهرة الجاذبة
لحاملات التلقيح ، لتبين لنا انه لا يمكن تفسير جميع جزئيات
الزهرة على انها تخدم حفظ النوع . ونحن في هذه الحالة نقول ان الزهرة
تبدو على هذه الهيئة بالذات دون سواها لانها من الفصيلة
(الاورشيديه) او الروود مثلا . هكذا نجد ان هناك معنى تنطوي
عليه وظيفة التلقيح لدى الزهرة ، كما ان هناك دلالة اخرى

الزهرة ، هي انتمائها إلى سلالة نباتية معينة . ورغم ان كل من هاتين الداليتين يتعلق بموضوع واحد هو الزهرة ، الا ان الظاهر التي تنعصر لها كل منهما تختلف عن الظواهر التي تعالجها الأخرى . ذلك ان البحوث العلمية التي تتبع عمليات التلقيح في النبات هي منفصلة بذاتها عن الدراسات التي ترصد الاشكال المبرمة لمختلف انواع النباتات . وما زالت هذه الشقة قائمة حتى الآن بين الدلالة الوظيفية للبحث للنبات وتلك الخاصة ببيئته العامة (المورفولوجية) القائمة على اساس قوانين معينة . وقد تعين الآن على علم الاحياء ان يضع حلاً لهذا الانفصال بين البحوث المتعلقة بالمعنى المورفولوجي (للنبات) . ولتأخذ القراش ، الذي يطوف بالحدائق بالصيف خاصة ويعرف بأسم (أنى دقيق) كمثال جديد للدلالة على المعنى الوظيفي المورفولوجي الذي سبق ان عالجنا على ضوءه وجود الأزهار . فلدى هذا النوع من القراش عدد كبير من المميزات التي يجعله يلعب دور القرن في تلقيح النبات ، من بينها انه لا يعمل على حفظ النوع بالنسبة للزهر فقط وانما بالنسبة لذاته ونوعه هو الآخر ، كما انه مزود للنهوض بهذه الوظيفة الأخيرة بأعضاء معينة ذات رائحة ودلالة جنسية بالنسبة لفصلته . وقد ثبت من التجارب المخبرية التي اجريت على هذا النوع من القراش ان الرسومات المزودة بها اجنحته لا تلعب أى دور جوهري في تعارف الجنسين على بعضهما ، بينما يلعب لون ارضية الجنحين دوراً رئيسياً في هذا المجال . ونستنتج من هذا الامر ان الرسومات التي تزين اجنحة هذا القراش لا تحقق له وظيفة تؤدي لحفظ النوع . ونحن لا نجد هنا ما يفسر مثل هذه التفاصيل (اللاوظيفية) الا اذا ارجعناها إلى ان اجنحة هذا النوع « من القراش تشير بعفوات معينة من بينها تلك الرسومات التي وجدناها على إحدى العيشات المنشار لها .

من المآلئين السابقين يتبين لنا ان شكل كل من الزهرة والقراشة يتعدى المتطلبات اللازمة لحفظ النوع . ولعل هذا هو السبب في ان علم الحية او شكل الكائنات وتركيبها المورفولوجيا يحظى بأعراف الاوساط العلمية وان كنا نجد في الوقت ذاته ان البحث العلمي الحديث المتعلق بالكائنات الحية لا يأخذ عملياً بمناهج علم المورفولوجيا ، بينما يستخدم طرقاً للبحث تعتمد على علمي وظائف الاعضاء والوراثة . كما نجد ان حفظ الفرد عن طريق عمليتي الهدم والبناء البيولوجيتين في الجسم ، وحفظ النوع عن طريق التناسل قد اصبح في قمة المدرج الهرمي للخواص البيولوجية . اما علم الحية التجريبي فغالبا ما يتقبل الاشكال على ما هي عليه ، ويقصر بعد ذلك على البحث عن العلاقة بين نظام عوامل الوراثة في البكرة ، او النطفة في الشكل النهائي الناتج منها او الذي نجم وتكون عنها . وعلى ذلك فان مهمة علم الحية التجريبي تنتهي بانتهائهم بحث العلاقة بين الاستعداد الوراثي والتطور النهائي للكائن الحي ، وقد يستخدم هذا العلم الشكل الخارجي كمرجع لتحليلاته ، ولكنه لا يسأل عن الهدف من هذا الشكل .

على اننا نود هنا ان نشير إلى انه لا يمكن للعلم البيولوجي ان يوسع من افق فهمه وتفسيره لاشكال الكائنات الحية ان لم يتنازل عن الاعتقاد بأن الهدف الاعلى لسلوك الكائن الحي وكافة العمليات

والنشاطات البيولوجية التي تحميه . هو حفظ النوع . هذا عدا عن بعض الاتجاهات الميكانيكية التي يسيطر على مناهج العلم الحديثة فترة طويلة ، فاذا كانت الحياة من وجهة نظر علمي الكيمياء والقياد لا تعدو ان تكون امتدادا للجماهد بعد ان بلغ درجة معينة من التعقد ، فقد كان من الطبيعي ان يرى البعض - قياساً على ذلك - الكائن الحي على انه بديلاً للاله . فهل هم على حق فيما ذهبوا اليه ؟

حتى نستطيع الاجابة على هذا السؤال يلزمنا ان نعود من جديد إلى مثالية الزهرة والقراشة ، فالدور الذي يلعبه كل من هذين الكائنين يذكرنا بأمر لم نلتفت اليه حتى الآن ، الا وهو الرباط والعلاقة التي تربط كل منهما بالأخر في عملية التلقيح النباتي . فان هذه العلاقة تجعلنا نفترض ان هذه القراشة ترى الزهرة وتغير رائحتها وهذا ما يجعلنا نفرض بالتالي نشوء « تجربة » - واعية كانت أم لا واعية - ادت إلى حفز القراشة لاداء دورها التلقيحي بالنسبة للزهرة . ولعلنا نعلم ان كافة الشروط العلمية للموسم والمؤدية إلى حدوث هذه « التجربة » مقررة سلفاً - بالوراثة - وذلك عن طريق احتواء نطفة القراشة على تنظيماتها كاعضاء الحس والمجاز العصبي المركزي والغدد الهرمونية ، وهكذا فانه يحدث هذه

و « التجربة » يتكون لدينا « وجود » معين يجمع بين كائنين حين في وحدة نوعية تعمل على المستوى الفردي ، ادت اليها تجربة احد هذين الكائنين وتكوين كل منهما . ولعله من الجدير بنا هنا ان نضم لحظة تلامس الكائنين المذكورين في مكانهما من ذلك الوجود الذي سبق ان ذكرناه ، والذي نعرفه حق المعرفة من خلال وجودنا الانساني لتلك اللحظة نحن ندعوه الوجود أو التجربة الذاتية . ونصدق ان صفة « الذاتية » حتى لو فرضنا ان النظام الذي يحدث هذه العلاقة تبعاً إلى التي تتعدى حدود الفرد إلى مجمرات النوع ، يسير بطريقة آلية محضة ، فان هذه الآلات الصغيرة « مكونة من « بلازما » « مجهولة علينا ، تحدث في اطوارها « التجربة الذاتية » المشار اليها . ولزال العلم حتى يومنا هذا معترفا بقصوره عن فهم طريقة عمل هذه البلازما » . ولعل هذا هو السبب في ان الصناعة الحديثة نادراً ما تتكهن من محاكاة هذه الاجهزة البيوروتلازمية . ومن يريد ان يستوثق من هذا فليستور شكل الجهاز الالكترونى اللازم تصميمه حتى يقوم بمحاكاة اصلياً لعملية ادراك فراشة صناعية زهرة من صنع ايدينا . فنحن لو علمنا ان ذلك القسدر من الجهاز العصبي الدماغى الذي لا يزيد حجمه عن المليمتر المكعب

لدى القراشة ، يقوم بهذه الوظائف الادراكية والعديد من غيرها ، يتبين لنا مدى دقة وغرابة هذه الآلات البلازمية البيوكيميائية . سبق ان تحدثنا عن التكوينات الوراثية ، وعن السمات الحيوية التي تنجم عنها آثار التجربة الشعورية والاشعورية . وقد كان هدفنا في هذا المجال ان نوضح بصورة خاصة كيف تتقابل الوظائف البيولوجية والنفسية وتتدخل إلى حد بعيد تزول معه القواصل والحدود المتعقدة التي اصطنعتها المناهج الفكرية الميكانيكية . ذلك ان تلك التجربة الذاتية التي حدثنا عنها « ديكاوت » ، واستبدلتها مناهج العلوم الطبيعية قد عادت لتلتقي مع بحثنا للعلاقة الحية بين



يعرف منها الفصيلة الفرنسية والانكليزية . وهي عبارة عن طيور بنية داكنة تعرف بالمائيا باسم عصفير « مونش » (الراب « أو » ذات الرأس الاسود » حيث تاسر الانظار بلبونها الاحاذ . ومن الخواص التي يشتهر بها هذا النوع من البابل انهم مفرد ممتاز ، الذي يعيش فيه صوتي الى حد بعيد ، تفرق على الاصوات والانغام .. واذا لاحظنا طويلا صغار هذا النوع من البابل وكبارهامكننا ان نعرف على خمسة وعشرين نداء مختلفا لها وثلاثة مقطوعات تغريدية متفاوت حسب فصيلة الببل الذي يربدها . وتصدر اولى الاصوات عن صغار هذه البابل في اليوم الخامس من تاريخ فقسها .. وسرعان ما يزداد عدد هذه الاصوات بسرعة كبيرة ، بل انها لا تلبث ان

تميز فيقضاها مخصص للاستجداء والاخر للاستجابات الصوتية داخل الجماعة ، وثالثة لاعلان الحرب ، ورابعة للتعبير عن الجزع والخوف وحامسة تطلق في حالات التوتر ، وسادسة للتعبير عن الصراع بين الرغبات والنوازع ، وسابعة للتعبير عن الالم - كما تستعمل نفس هذه الاصوات الاخيرة في حالات الجزع الشديد - وثامنة للدفاع عن النفس ضد علو معين ، وتاسعة للتعبيد بواسطة التصفيق المتتالي . والجدير بالملاحظة ان كافة هذه الاصوات مميزة كما انها مرتبطة بمواقف معينة . اما المقطوعات التغريدية الثلاثة فهي تتكون من « اغردة البكاء » ويؤديها جميع صغار هذه البابل . ثم تأتي بعد ذلك التغريدة الثانية وهي معروفة باسم اغردة

« بالز » وهي تعبر عن الاشياق للزواج . والمقطوعة الثالثة وتدعى اغردة الفصيلة ، وكلا المقطوعتين الاخيرتين يقرده من ذكور هذه البابل وجدها ..

وقد امكن تجميع اهم معارفنا عن هذه البابل بواسطة تنشئتها وتربيتها في عزلة تامة عن كافة المؤثرات الصوتية وقصر علاقتها على الاتصال القبطي والشمسي مجريها ، وعلى الاصوات الصادرة عنها دون تعلم واكتساب . وقد امكن عن طريق هذا المنهج ان نفق على حقيقة بالغة في الاهمية الا وهي ان الاستعداد لاداء الاصوات والاغاريذ الخاصة بهذا النوع من البابل موروث . فبعكس ما يحدث اثناء تعلم اللغة لدى الانسان ، نجد ان التنظيمات

العصبية المركزية تنمو لدى البابل حتى تبلغ درجة الاستعداد لاداء وظائفها دون ان يكون لذلك علاقة جوهريه بالمؤثرات الخارجية بعمليات التعلم . وان كان لابد لنا ان نشير في الوقت نفسه الى انه كثيرا ما يحدث ان يتوقف تزايد الببل لاصوات معينة على سماعها من قبل . ويعتينا هنا ان تعرض بشي . من التفصيل لاغردة النوع التي تصدر بها هذه البابل ، فائنا الطفولة المبكرة ، او على وجدته الحديد ، بعد اثني عشر يوما من مغادرة باطن العنث تبدأ عملية الاستعداد لاداء التغريدة ، حيث لا يلبث الببل ان يبدي الحائسا الاساسية في اليوم الخامس أو السادس عشر . وتستمر هذه التغريدة باعتبارها مقطوعة الطفولة حتى الاسبوع الرابع من عمر الببل ،

حيث لا نجد في هذا المجال اي فارق بين الببل المطلق في الفضاء وزمبه الذي نشأ في عزلة يفتضيه البحث العلمي ، بل انه احيانا تم عملية « التدريب » على اداء الاغردة في صمت تام ، فاذا

الفراسة والزهرة . وحتى لو امكن استبعاد صفة الذاتية عن الزهرة في مجال هذه العلاقة (رغم ان تقرير صحة ذلك من عدمه يرجع إلى علم النبات) فنحن لا نستطيع ان ننفي هذه الصفة عن الفراشة في علاقتها مع الزهرة . ومن اجل ذلك فنحن نطالب بعودة عنصر التجربة الذاتية إلى العلوم الطبيعية بعد ان طال استبعاده من مجال بحثها . بل يجب ان يوضع هذا الملئ الجديد موضع التجربة العلمية المستقصية . ولعل هذه الخطوة التي وبلت معها التجربة الذاتية حقل البحوث البيولوجية ، تعد من اخطر مراحل تطور علم الاحياء واجلها شأنًا في النصف الاول من هذا القرن . فهي تتبوأ مكانة رفيعة تنفج جنبًا إلى جنب مع النتائج الكبرى لعلمي الفسيولوجيا التطوري والوراثة . لست بعد ذلك بحاجة إلى تأكيد ضرورة العناية بوضع البحوث المتعلقة بذاتية « التجربة لدى الحيوان في مكانها اللائق بها داخل اطار البحوث المكرسة لاكتشاف العالم النفسى الذى يعيش فيه الانسان . اما ان يحظى البحث حول ذاتية التجربة الحيوانية بمكانة بعيدة الاعمى ، اذا ما طرح السؤال عن معنى وجود الحيوان ، فهذا هو ما اريد ان اؤكدته بواسطة التعرض لمعالجة هذا الميدان الجديد .

تشير أكثر النظريات العلمية الحديثة انتشارًا إلى ان التنظيمات الحسية والعصبية ، فضلا عن الحركية ، تلعب الدور الأول في خدمة الوظيفة العليا للكان الحي ، الا وهي حفظ النوع . ومهمة تلك الوظائف الحيوانية هي الحصول على الطعام والبحث عمن الاشباع الجنسي ، وتجنب الاعداء ، وباختصار اداء كافة الاستجابات للمثيرات البيئية بحيث تستخدم هذه الاستجابات في مدلولها الواسع حفظ الذات والنوع وبالتالي ، ويقوم الجهاز العصبي - بناء على هذا - بعمليات غريبة معقدة من الانقضاء والتبديل تشيع في النهاية حاجات الفرد أو تعمل على اشباعها ، على انه يجدر بنا هنا ان نشير الى ان الحاجة التي تتطلبها الاستعدادات الموجودة سلفًا في الكائن الحي لا تفيد إطلاقًا المعنى القبري الذي تحدثت عنه النظريات القديمة في هذا الصدد . وانما ينص تعريف قضاء الحاجة هنا الى مجرد الوصف الموضوعي للعلاقة بين تكوين معين في أحد الاشكال الكلية ، وبين وظيفته الممكن تحقيقها .

وانني أود ان اعرض فيما يلي لبعض الامثلة المستمدة من الواقع فلعلها تمهد امامنا طريقًا جديدًا لفهم الكائنات الحية عسل نحو معايير . وساعرض هنا للبديل المفردة من نوع « سيليا » التي

ما بدأ الليل في التفريد بعد ان يكون عمره قد صار عشرون يوماً ، ففي هذه الحالة يكون قد مر مرحلة التدريب العصامت المذكورة . وقد لاحظ الشرف على إحدى التجارب التي أجريت في هذا المجال « ان بلبلا ذكراً قد ظل صامتاً حتى اليوم السابع والثلاثين من عمره وفي اليوم الثامن والثلاثين صدح أغرودة الطفولة بكاملها دون ان يكون قد حاول اداها من قبل البتة » . وتبين أغرودة الطفولة

بين الليل ، كل حسب نوعه وخصيلته ، وان كانت جميعها تشترك في كونها وراثية تماماً ، هذا على الرغم من أنها اغني الاغاريذ بالنعامت ، اذا يؤدبها الليل بصوت خفيض غير مقطوع ، حينما يجلس أمناً وسط عشه دون أي مزجات . ويكون الليل الطفل في الحالة مرتيحاً تماماً فيسدل جناحيه بانحناه الى جواره ، بينما يهبط الريش على جميع اجزاء جسده فيغطيه . وقد تستمر هذه التفريدة لمدة نصف ساعة بصورة متواصلة . وتظل أغرودة الشباب على هذا المستوى الذي يمثل قمة تطورها لدى الليل ، وذلك منذ انتهاء الشهر الأول من عمرها وحتى حلول الخريف التالي وما يصبح به نزوع هذه الليل الى الهجرة ، حيث تضع مع هذه المرحلة الجديدة من حياتها معلم اغرودة الطفولة . ويؤكد « كريج » ان الليل الامريكية من نوع « وود بوي » لا تتعلم التفريد مسن المورثات الخارجية وانما يتصرف الليل من تلقاء نفسه الى التفريد اللاكسب . وبعد ان ينتهي موسم التناسل في فصلي الربيع والصيف تعود اغرودة الشباب لتظهر من جديد منذ الشطر الأخير من شهر أغسطس وحتى منتصف شهر ديسمبر . وهي تدعى هنا « أغرودة الخريف » وهي لا تختلف في شيء عن نفس الاغرودة التي كان الليل يصطحب بها في طفولته ، فهو يؤدبها ايضا في هدوء وتدفق .

ويؤدي مرور الهرمونات الجنسية في دم الليل الى حدوث بعض التغيير على طابع الاغرودة لديه ، إذ يفرز الذكر في هذه المرحلة بصوت اعلی ولبدة اقصر من تلك التي كانت تستغرقها اغرودة الطفولة . ذلك ان تفريدة هنا لا يستغرق أكثر من ربع ساعة ، حيث يصطحب بها من جلسته الائمة واحيانا اثناء طيرانه المائل . وتتألف هذه الاغرودة من عدد من « الموتيمات » الموسيقية العالية لا يتجاوز الخمسة عشر . فلا عجب ان كانت اغرودة الطفولة تتحول في هذه

الحالة الى عدد من الموتيمات اقل عدوبة وأكثر خشونة . وقد أثبتت الملاحظات العلمية ان هذه الموتيمات الأخيرة تلعب دوراً هاماً في المراحل المتقدمة من عملية حفظ النوع . فهي تملأ مطالب الذكر بشأن الحصول على عش مستقل لا يظاهه سواه وعائلته . كما أنها تعزز الروابط .. بين الليلين العشيقين ، وهي تستعمل أيضاً في حماية عش الليل ضد الغافرين من فصيلته . وقد تبين ان هذه الاغرودة تلقى المزيد من الاجادة لدى الليل التي تطلق في اماكن متجاورة ، حيث يقرم كل من الليلين المتنافسة بتأكيدها واحتصارها الى ان تصبح بعد فترة قصيرة متمثلة على عدد قليل من الموتيمات الموسيقية التي يتبادلها الذكران المتنافسان . فاذا « روح » احدهما

بحوتيف تفردي معين رد عليه منافسه بنفس صيغة الموتيف . اما اذا قاطع احدهما الآخر اثناء اداء اغرودة « الروح » ، صمت

الليل ، صمت الليل الذي قوطعت اغرودته حتى ينتهي الطرف الاخر من مقاطعته ، ثم يعود فيسرد اغرودته بلا توقف مكرراً المقاطع التي سبق ان صدح بها قبل ان يقطع . ومن الجائز في بعض الاحيان ان يؤدي تعديل الليل هذه الاغرودة واحتصارها لمقاطعها الى رتابة الحامها . ولا يصح ان نفغل هنا ان اختصار الاغرودة وتركيزها الشديد غالباً ما يكون مرتبطاً بمدى كثافة سكني الليل في منطقة واحدة ، ذلك ان المنافسة بين الذكور تصبح أكثر احتمالا

كلما كان جوارهم قريباً . وانما اذ ذكر مثل هذه التفاصيل انما نود ان تلقى ضوءاً على التفاعلات النفسية في حياة هذا النوع من الطير حتى تبين مدى قصور وعجز التفسير الآلي لسلوك الطير .

وبعدنا « لورنس » عن الطريقة التي يتميز فيها عرض الاغرودة باللبغ الخالص ، فنحن في امكاننا ان نستدل على احساس الليل القابع بين طيات صدره الصغير عن طريق ملاحظته عرضه الذاتي للاغرودة ولعبه وتوجيهه لمقاطعها . وقد ثبت ان الليل تميل للاستماع الى النغمة . واذا كان يتوجب على العالم البولويجي المحدث ان يكون حذراً في استعمال العبارات الشعرية الاخاذة ، فاني لا

ارى هنا - بالرغم من ذلك - ان « نشوة الليل » التي حدثنا عنها الحكيم الصيني « شوانج - دسي » تبعد كثيراً عن تصوير احساس الليل بصورة علمية موضوعية .

نتبين مما سبق ان اغرودة النوع تبرز خاصة جديدة لدى الليل الا وهي التعبير الذاتي ، وافصاحهم عن اعماقهم ، ذلك انه عن طريق الحب والتفريد « اللاوطني » يتحول لديهم الزمن القيزيبي الميت - الذي يمر بلا معنى ولا مضمون - الى زمن معاشي وتجربة حية - ونحن نعلم ان تجاربنا الخاصة ان مجرد الوقت دون شغله بنشاطات متجددة - أمر صعب الاحتمال ، وبحمل بين طياته

الملل القاتل . كما نعلم من الجانب المقابل ان الاحساس بالزمن يكاد ان يتلاشى في حالة الاحساس بالسعادة الحقيقية ، وكان الوقت السعيد هو بلا زمن . ولعل التعبير اللغوي أكثر ما يكون وضوحاً ودلالة حين يعرف الفراغ الزمني بأنه « قاتل » ونحن نلاحظ ان التجارب السلبية تؤدي الى الاحساس بالفراغ الزمني ، بينما تؤدي الحبرات الايجابية - على العكس - الى نسيان عنصر الزمن . كما اننا نرى ان هذين المبدأين هما اساسيين لدرجة انه يجوز لنا ان نفترض وجود مقابل لهما في حياة الانواع المتطورة من الحيوان . ولعل الدليل العملي على صحة هذا الافتراض يكمن في الاهمية البالغة التي تلقاها

عمله شغل وقت الحيوانات بصورة كيفية في حديقة الحيوان . وعلى ذلك فانه من اللازم ان تفهم كافة محاولات الكائنات الحية للعب - على أنها تبدل لقتل الفراغ أو بعبارة أخرى لملء الوقت بنشاطات ايجابية . بل انه يبدو لنا انه يجب فهم وظيفة اللعب لدى الكائنات الحية في هذا الضوء الجديد أكثر من مظهر اللعب نفسه ، فنحن لا نستطيع ان نعي الاغاريذ اللاوطنية التي تصدر بها الليل في طفولتها ، أو تلك التي ترددها في فصل الخريف ، أو محاكاة البيقاء للاصوات ، الا اذا افترضنا انها تهدف في معظمها الى « ملء الفراغ » بنشاطات متجددة حية . ■ ■ ■

عبد الجبار بن حمديس

بقلم : عصام عيران

ملايين نسمة . استعمرها الفينيقيون واليونان
قديما ، واسسوا فيها المدن التجارية الزاهرة ،
وغزاها العرب المسلمون بأمر من والي القيروان
بنونس : زيادة الله الاغلبي ، وبقيادة اسد بن الفرات
عام ٢١٢ للهجرة ، الموافق لسنة ٨٢٧ ميلادية .
ولم يستتب للعرب امر الاستيلاء على الجزيرة
بكلها الا بعد سنوات طويلة ومريرة ، تخللها
حروب وهجبات من عدة ولاة وقادة عسكريين ،
عزبا واغريقين .

الا ان غنى الجزيرة وازدهارها كانا دائما
يغريان السكان الايطاليين القريبين منها
— المعروفين باسم النورمان — باستعادتها من
ايدي المسلمين الفاتحين .. بحيث انهم طفقوا
يحتالون لذلك حتى شرعوا باولى هجماتهم على
صقلية عام ١٠١٦ م وتتابعتم غزواتهم طوال ٧٥
سنة متواصلة ، ثم لهم بعدها — اي في سنة
١٠٩١ م — الاستيلاء النهائي على الجزيرة بأكملها
ومن ثم اجلاء الحكم العربي السياسي عن ربوعها
الى الابد !!

وفي خضم غزوات النورمان هذه ، ولد
شاعرا العربي الازدي : **عبد الجبار ابن حمديس** ،
في بلدة **سرقوسة** بصقلية ، سنة ٤٤٧ هجرية
الموافقة لسنة ١٠٥٥ م .
في سرقوسة تلك ، الفاغرة ثغرها الابيض
العريض ، اغترف ابن حمديس من منهل الثقافة

ذَكَرْتُ صَقْلِيَّةَ وَالْأَسَى
يُجِيعُ النَّفْسَ تَذَكُّرُهَا
وَمَنْزِلَةَ النَّصَابِي خَلَّتْ
وَكَيْانَ بَنُو الظَّرْفِ عُمَارُهَا
فَإِنْ كُنْتُ أَخْرَجْتُ مِنْ جَنْبِ
فَانِي أَحْبَبْتُ أَخْبَارُهَا
وَلَوْلَا مَلُوحَةٌ مَاءِ الْبُكَاءِ
حَسِبْتُ دُمُوعِي أَنْهَارُهَا
ضَحَكَتْ ابْنُ عَشِيرٍ مِنْ صَبُوءٍ
بَكَتْ ابْنُ سَتِيرٍ أَوْزَارُهَا
فَلَا تَعْظُنَّ لِدَيْبِكَ الذَّنُوبُ
فَمَا زَا لِدَرْبِكَ غَفَارُهَا
● **صقلية :**

جزيرة تطلو فوق مياه البحر الابيض
المتوسط ، وتطوي في احشائها الضدين متجاورين
متلاصقين النور والظلام .. الخصب والامحال ..
.. فالخصب والفضاء في مروجها الخضراء
ووديانها المرع وبساتينها الغناء .. والجذب
والعمه ، والدبار في اللحم الملهوية اليها من اغوار
بركان « اتسا » الذي يغلي مرجله منذ القدم في
القلب من ارضها !!
جزيرة ايطالية .. مسلحتها تتحارب
الخسنة وعشرون الف كيلو مترا مربعا ،
ويتجاوز عدد سكانها اليوم خمسة

احد ولانهم — وهو الخائن الشهير **ابن التهمة** — عن ان يستدعي الايطاليين بنفسه الى الجزيرة ويسلمهم بعض اجزاها ، انتقلوا من اخوانه في الجنس والدين !!

وبالرغم من وجود امثال **ابن التهمة** من الخونة ، فقد كان ثمة رجال دافعوا عن عروبة صقلية حتى الرمح الاخير .. مثل القائد الشجاع المعروف **بابن عباد** ، الذي مجده **ابن حديس** واشاد بطولانه ، لدفاعه عن بلده **سرقوسة** بالذات ، ولكن حظ الخيانة غالبا ما يكون هو الاقوى .. اذ ما كان الهمم يوما بل في كل زمان ومكان . الا الاسهل والايسر والاسرع من البناء .

● الحنين والفرقة :

يوم فارق ابن حديس موطنه ، شابا يافعا طري العود ، حمل معه كل الذكريات التي عاشها هناك رخي البال ناعم العيش ، نزوعا الى التمتع بمعطيات الاله لبني البشر من حب وجمال ولهو لا يؤذي الاخرين .. وظل يحن طيلة حياته الى ربوع صقلية الخلافة الرؤي ، الرائعة الطبيعية ، حتى انه هتف مرة عندما رأى زهر النيلوفر :

هو ابن بلادي ، كافتراي اغترابه :

كلانا عن الاوطان ازعجه الدهر
وقد اصاب الدكتور **احسان عباس** عندما لاحظ في دراسته القيمة عن شاعرنا ودويانه ، ان القرية كانت اقوى قوة حركت الشاعرية الصحيحة في نفس ابن حديس .. وان ايام صقلية هي التي كوّنت منه شاعرا ، ولكن بعد ان ضاعت واسلمته الى ضياع .

● الى الاندلس :

كانت هجرة ابن حديس اول ما كانت ، الى شمال افريقيا .. حيث لم يتنوي المغام ، بسبل العبور فقط بارضها في توجهه الى كعبة الشعراء والاباء في ذلك الزمان : الى **أشبيلية الاندلس** !! وصل الاندلس تلك عام ٨٤٠ هـ ، وفي النفس مطمح غالى عزيز ، هو ان ينال الحظوة لدى صاحب **أشبيلية** : المعتد على **الله محمد بن عباد** بيد انه لم يحصل على مبتغاه هذا الا بعد فترة من الانتظار كانت تسلمه الى ياس من لقاء المعتد . وسرعان ما استطاب **ابن حديس** العيش السهل الملىء بالمسرات في **أشبيلية** ، فكان يرتاد مجالس الشراب على السواقي ، ويشهد مجالس الرقص التبغيري ، ويجالس المناظرات الشعرية مع شعراء **كعب الجليل بن وهب** ، وغالب **نرباح** المشهور **بالبحام** ، و**عبدالله بن مالك القرطبي** ،

الادبية ما يمكنه من قول الشعر في صباه ، ومن التحدث فيها بعد عن الصحة والمرض وطبيعة الهواء والغذاء ومن تصارع العناصر .. كما اشتهل معرفته المتزايدة مع الايام العروس والنحو والتاريخ وطبائع الحيوان ، حتى انه استساع يوما تأليف كتاب عن (تاريخ الجزيرة الخضراء) ..

ولم يمنعه تمسكه باهداب التقوى والدين والتقاليد — وهي مكتسباته من بيئته العائلية — عن التسلل في اغلب الاحيان الى اماكن اللهو والاديرة وحانات الشراب .. كما شارك ، من جهة اخرى ، في بعض الغزوات الحربية .

● الهروب :

ولكن النورمان كانوا في هذه الانثناء — بل فيها قبل ذلك بمشرات السنين — لا يزالون يكررون الحيلة على صقلية العربية .. وقد استطاعوا تدريجيا ان يستولوا على المدن والقرى في الجزيرة المنكوبة .. فكان سقوط **بالرمو** والاجزاء الصقلية الاخرى بأيديهم انذارا لابن حديس — فالتفت الى المجد الادبي اكثر من ملوجه الى الرزمة العسكرية — لكي يخرم امره بين البقاء بين اهله اسيرا في رقة النورمان ، او الانطلاق الى افاق الدولة العربية المتراصة الامعاد .

لقد فضل **ابن حديس** الحرية على الاسر .. فكان ان دفع ثمنا لتلك الحرية سنوات اثر سنوات وسنوات من التشرد في بلاد المغرب والاندلس ، والاما روحية لا حد لها ، بعثا احساسه العميق بالذنب ، لتخليه عن موطنه ومرتع طفولته وبلد اهله الاقربين . واحساسه اللاشد ، بالتسالي ، بدفقات غامرة من الشوق والحنين الى **صقلية** .. وهي دفقات كانت تكنس منعطفات قلبه ، فتنتثر فيها الاسى والشجن ، وتحجب اليه العيش في حلم يقظة يود الا يفيق منه ، ينتشر في اجوائه عبق الذكريات الخائيات ..

وانها لعبري ، مشاعر الام كل متشرد مبعد عن وطنه ، بل احساس كل مغترب عن الاوطان ، يشده الحنين الى الماضي الاحب .. وهو الذي ما كان ليختار البعاد عن بلاده لو اتيح له فيها العيش الكريم .

وقد هاجر **ابن حديس** من موطنه ، هربا من الفزاة ، وايانا بعثت مقايمة هؤلاء الاقوياء المتحدين ، في الوقت الذي كان المسلمون في الجزيرة متفرقين متعادين ، يبغض الواحد منهم الاخر من اجل اعراض المادة الزائلة ، ولا يتورع

وغيرهم .

وأطل المدائح في المعتمد بن عباد ، وأشاد
بجهاده ضد الروم ، ومدح الرشيد عبيد الله
بن المعتمد ، ولم يمدح في الأندلس غير هذين
الأميرين .

وكان خلال ذلك ينتشي بأخبار صقلية وتبجعه
أحاديث البطولات فيها ، فينظم العديد من القصائد
يشجع فيها أهل بلده ويستثير حماسهم وحببتهم
من أجل متابعة الجهاد المقدس ، وعدم الاطمئنان
إلى الشرود من أرض المعركة وميدان الشرف ،
فالغربة كما خبرها ذل وإي ذل :

نَقِيدُ مِنَ الْقَطْرِ الْعَزِيزِ بَوطُنٍ
وَمُتْ عِنْدَ رَيْعٍ مِنْ رِبْعِكَ أَوْ رَسِمٍ
وَأَيَّكَ يَوْمًا أَنْ تَجْرُبَ غُرْبَةً
فَلَنْ يَسْتَجِيزَ أَلْمَلُ تَجْرِبَةَ السِّمِ
إلا أن القدر المحتوم كان لصقلية وأهلها
بالمرصاد ..

وبدأت غيوم اليأس تزداد احلاكا في نفس
إبن حديدس ، الذي رأى أن مدن صقلية بها فيها
بلدته الحبيبة سرقوسة — تتساقط الواحدة بعد
الأخرى في يد الأعداء النورمان (الإيطاليين) ..
والى المصائب تمنوره من كل جانب بغير شفقة :
كصابه ب موت والده ، وفاجعته بفرق القائيد
العربي الصقلي إبن عباد بنينا كان ينتقل من
سفينة إلى أخرى أثناء إحدى المعارك الحربية .
ثم سقوط حكم المعتمد صاحب أشبيلية وسجن
إبن تاشفين له ..

وتلفت إبن حديدس حوله حائرا مغزوعا ،
فألقى نفسه غريبا طريدا في الأرض ، قد ذهبت
صقلتيه الحبيبة إلى غير رجعة :

لَقَدَّرْتُ أَرْضِي أَنْ تَعُوذَ لِقَوْمِهَا
فَسَاعَتْ ظَنُونِي ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَائِسا
صَقْلِيَّةُ كَادَ الزَّمَانُ بِلَادَهَا
وَكُنْتُ عَلَى أَهْلِ الزَّمَانِ مُحَارِسا
أشبه هولا بنكيتي في خسارة صقلية :

أَبَادَ حَيَاتِي الْمَوْتُ إِنْ كُنْتُ سَالِيَا
وَأَنْتَ مَقِيمٌ فِي قَبْرِكَ عَانِيَا
وَإِنْ لَمْ أَبَارِ الزَّمْنَ قَطْرًا يَأْمَعُ
عَلَيْكَ ، فَلَا سَقِيَتْ مِنْهَا الْفَوَادِيَا
تعرّيت من قلبي الذي كان ضاحكا
فما لبس إلا الجفان إلا بواكيَا

● إلى إفريقيا :

ويشد الشريد رجاله إلى إفريقيا ، بعد
عشرين عاما قضاه في الأندلس ومغائبيها ،

الحنان ، وبعد محاولة وحيدة قام بها من أجل
العودة إلى أهله في صقلية ، وهي محاولة كادت
أن تسلمه إلى الموت غرقا في لجة البحر .. لكننا
القدر قد حرم عليه أن يتبلى من وجه وطنه بعد أن
غادره شابا يافعا ، تهدهده الأحلام والمطاميع
البعيدة ..

وفي شمال إفريقيا — التي عاش إبن حديدس
نوق أرضها أكثر من نصف عمره — انصفت حياته
بالخمول وشكوى الكبر وانتحال الحكمة والزهد ،
والتكسب بالمذح والزلفى ليعيش ..

وخدعت رويدا رويدا جذوة الشاعرية فيه ..
كما قل ذكره لصقلية في شعره ، فانه لم يريثها إلا
مرة واحدة ، وهو في الستين من العمر ، حينما
أبدع تلك القصيدة التي تعتبر من أجل ما عرف
من شعره وأشهر ما ذاع له حتى يومنا هذا ، وهي
القصيدة التي مطلعها :

قَصَّتْ فِي الصَّبَا نَفْسُ أَوْطَارُهَا
وَابْلَغَهَا الشَّيْبُ مَضَارُهَا
والتي جاء في أواخرها تلك الإبيات المشهورة ،
التي صدرنا بها حديثنا هذا :
فَكَرْتُ صَقْلِيَّةَ وَالْإِسِي
يَهِيحُ لِلنَّفْسِ تَذَكُّرُهَا

● نذر الرحيل :

ومن غرائب ما حدث لهذا المعذب الطريد ،
أن اشاعة كاذبة ترامت إلى مسامح ابنته التي
كانت تحبه أشد الحب مفادها أن أباه قد مات ..
فأقابت لذكراء ماتها حزينا وبكته أحر البكاء ،
ولكن شاعت الإندار أن تبوت هي قبله ، وأن
يعيش بعدها حزينا متنجسا ، يرثيها ويتذوق وحده
مرارة الغربة وطعمها الكريه :

أَرَانِي غَرِيبَا قَدْ بَكَيتُ غَرِيبَةً
كَلَانَا شَوْقُ لِلْوَطَنِ وَالْأَهْلِ
بَكْنِي وَطَلَّتْ أُنْيِي مَتَ قَبْلَهَا
فَعَشْتُ ، وَمَاتَتْ وَهِيَ مُحْزُونَةٌ ، قَبْلِي
● موت الغرباء :

وانتهى الطواف الطويل بإبن حديدس ، بعد
ثمانين حولا من عيشنا الأرضي ، في بلدة بتونس
تعرف ببجاية .. دفن بها ، غريبا يفرش أرضا
غريبة .. وغابت عن أنظاره إلى الأبد صقلية
التي عشق ، كما تتلمس عن صقلية هذه فيما بعد ،
ظل الإسلام ومجد الضاد .. فضاعت غروبتهما
مع ما ضاع ويضيع حتى يومنا هذا من أوطان
غالية سلبية ، وتراب عزيز مختصب ، وحقوق
للإسلام بينات ، وإمجاد للعروبة ماضيات ..

بجماليون

« روت الاسطورة الاغريقية ان الالهة فينوس ،
حققت لبجماليون امينته ، لانها كانت تكرمه ،
فقد كان مبتكرا » .

ساحرتي اهدابها وارفة الظلال
وعينها كحلها الجبال
ورقد الختان في نظرتها
تدفرت قامتها بالسحب البيضاء
واخطرت كأنها ضياء
ولو نهد اصبعها الى الافق
تشبع فيه حجلة فهو شفق
او يتولاه الفرح
فيرتدي قوسي قزح
ومثلها ترفرف الاحلام
وتتسامى بالنبي لحظة الالهام
تطيف بي صورتها بعيدة الالهام
تطيف بي صورتها بعيدة المثال
ولا ازال اجمع الاضواء والظلال
لارسم اللوحة في الخيال

هل يا ترى افتتح عيني ذات امسيه
فاذ بما صورته قد صار انسيه ؟
لقد اتحت مرة في زمن سحيق
جادت بها الالهة الاغريق
على القنى المثال (بجماليون)
احلامه .. اشواقه .. جسدها تمثالا ..
في صورة امرأة
واذ رآها خلقت ببراة ..



والبحفاسف

بقلم : اسماعيل الصيفي

التبع في الشمال
ولم ازل اسوق للجنوب في رمال
ولم يزل حدائنا في فمهم موال :
« الى بلاد الهند
الى بلاد الهند يا جمال
لتحمل الخبز والطوب والاكل »
« نعمود يا جداة .. من يدري ؟
وهل يعود راكب الليال ؟
وغبت عن صحي باطراقي
حدقت مذعورا لاعماقي :
واحربا !
الفصن هم ان يكون خطبا
تقلصت اوصاله فاشقفا
وكف عن نبوه .. سموه .. فاطرقا
يا ضيعتي اذا انا رجعت بالحرير
وعدت بالعبر
ثم رايت الفصن غاضي نبعه وجف
قد اقرر العش الذي كان به ، فاستوحشا
واجهشا !!
ليس مما يرهق النفوس ..
مما يشق حمله حتى على فينوس ..
ان تخفق الحياة في التنبال
من بعد ان يصوح الثناء
نضارة القتال !

جنا على اقدامها اجلالا :
« فينوس يا الهة الهوى
اني ظلمت للحياة .. امنصني الظما
مري لهدى الكاس ان يملأها شراب
فتعمر العيان بالرحيق ، والشفاة بالرشاب »
فانصت ستائر المعبد للصلاة
وابتسمت (فينوس) للانات
هذا الذي قد عاش في سحاب الكبرياء
قد عرف الرجاء !
ووقع المحال
فدبت الحياة في التنبال
واعنصت (فينوس) فوق قمة (الاولب)
لترقب الفتى اذا اكنوى
وبات مضنى القلب
لقد رايت يشف حبه الفؤاد
ويجنس العذاب والسهاد
لكنني احسده ان حقق الامالا
اما انا فلوحتي لما تزل خيالا

وقد نذ زفرة في صمى العميق
ضراعة الفريق
ولوعة الطائر اذ يبحث عن رفيق
ويمطلي في دمي الكلال
فادع الكتاب والبراع في ملال
لشد ما الهت خلف زائف الامال !

شاعر في القافلة عبد الباسط الصوفي

بقلم : عدنان الداعوق

مباشرة لتلويح حياة الفنان مهما كانت اساليبه وثقافته واتجاهاته .. ولدينا على ذلك امثلة كثيرة منها حياة « رامبو ، وبليرون » وغيرهم كثير كثير في الادب الغربي والعربي على السواء .

وقد يكون الشذوذ البصري من حسن حظ الادب والفن ، لانه اعطانا بالفعل لونا جديدا من الادب الذاتي — وان كان منطرفا منحرفا في بعض الاحيان ، الا انه نهج رائع نستطيع من خلاله ان نلم ونعرف ونغوص الى اعماق اولئك العباقرة ، ونتعرف على ذواتهم من الداخل وعلى نفوسهم . وكيف يفكرون ويعيشون وينتجون .. وإذا عدنا الى شاعر حمص المرحوم « عبد الباسط الصوفي » ندرس اسباب قلقه وسليبه وهروبه من الحياة .. ثم اذا حاولنا اكثر من ذلك كان نعرف السبب لسلوكه ذاك نجد انه كان يتمتع بشكل وشخصية لا بأس بها — هذا اذا كان للشكل العام اثر في الانطواء او الانطلاق في حب الحياة او كرهها .

ثم لوجدناه كذلك مؤلفا بدخل محترم يكتل له عيشا ومستوى معينين . ثم لوجدناه ايضا يعب ويحب ، ويتمتع بجمال الوجود والحياة ، ويتمنى بجمال الطبيعة والمرأة ..

بعد كل هذا نستخلص من حديثنا ان الشاعر كان يتمتع بنوع من الحياة السوية ، وان كانت لا تخلو هذه الحياة من منغصات .

وإذا اخذنا شعره وقارناه بحياته نجد ان هناك فارقا كبيرا واختلافا بين شخصية الشاعر وشخصية الشعر .. ونستطيع كذلك ان نلجح بينتهى الوضوح الاخفاق الكبير الذي تردى فيه الشاعر كائنسان . اي بمعنى اخر نتميز من السؤال الكبير ، بعدما المنا بحياته الخاصة : « لماذا الشذوذ الفني في حياة الشاعر الصوفي » ؟

وقبل ان نجيب سلبا او ايجابا على هذا السؤال ،

لست ادري على وجه التحديد السبب الاساسي لكل تلك الحيرة والضياغ والالم .. هذه الصفات وحدها التي انتصف بها الشاعر المرحوم «عبد الباسط الصوفي» .. وكانت عنوانا لحياته ومماته .

ورغم انني عشت مع الشاعر اياما غير قليلة .. وعرفته عن قرب وكانت بيننا مودة موصولة ، الا انني لم استطع ادراك السر الحقيقي لكل من حيرته وضياغه والسه .

وقد استطيع ان اقول : ان الشاعر ولد ضائعا ومات ضائعا . فما هو ان هذا القاتل المبائر الذي صبح حياة الشاعر بهذه الألوان القاتمة ؟

قد يقول قائل : « ان الشاعر كان يبحث عن ذاته » . فهل من المعقول ان يبحث المرء عن ذاته وهو في لجة الضياغ ؟ او هل من المفروض ان يضع المرء ويطمس معالم واقعه ليجد نفسه ؟ وابن تلك النفس التازعة الفازحة ؟

لقد اختلف النقاد في تصوير او تحديد ماهية النفس البشرية في هذا العالم الحديث الملون بالوان القموض والضياغ .

فمنهم من يقول : ان القموض والضياغ يعود الى اسباب فكرية بحتة .. كان يهرب الفنان من واقعه بعدما يلقى من هذا الواقع السلبية المطلقة .. ومنهم من يلبس ثياب القلق والتشرد ويكون بهذا قد نوج نفسه ادبيا فنانا .. اذ اصبحت هذه الصفات الشكلية في كثير من بقاع العالم عنوانا للمبيرة .

وإذا حاولنا ان نفوس الى اعماق كثير من العباقرة في العالم بالجهد والثاني الدارس لاستطعنا ان نلم بالسر واحد فقط .. الا وهو : من كانت نفسه سوية كان انتاجه سويا ومن كانت نفسه شاذة شاردة اصطبلح انتاجه بالوان نفسه المشتتة الضائعة .

معنى ذلك ان الشذوذ بكل اشكاله وانواعه سبب

نحاول ان نستعرض حياة الشاعر العلية :

.. تخرج من كلية الاداب في الجامعة السورية ، ولم يرغب ان يعمل مدرسا فاشتغل في الاذاعة السورية وعمل مذيعا .. وبعد فترة . مل عمل الاذاعة فعمل مدرسا وعين استاذ في دير الزور بميدنا عن مدينة حمص .. وهناك اخذ يغني مدينته الحبيبة في اشعاره ويتلف لـ « ام الجبار السود » .

وبعد ان عاد الى حمص اثر عاين قضاها بميدنا عنها اخذ يتمجل الهرب من المدينة التي غناها وتلهف للقاء احجارها السود .. فمل الحياة واخذ يربق الغد ، ولكن بأمل معنة ونفس مثالية .

وصفد ان زارني مرة في حمص الاديوب والناقد الكبير المرحوم الدكتور محمد مندور تصحبه زوجته الشاعرة ملك عبد العزيز ، وطلب الي ان تعرف على بعض ادياء حمص وشعرائها . وكان الشاعر « الصوفي » واحدا من الشعراء الذين قدمتهم للدكتور مندور ..

وفي جلسة رائعة ، ما زلت اذكرها ، على ضفة العاصي طلب الناقد الكبير من الشاعر الشاب ان يسمعه بعض شعره ، فانطوى الشاعر ، بادى الامر على نفسه ، ثم اخذ ينشد ..

وثناء ذلك همس الدكتور مندور ، رحمه الله ، في اذني يقول :

« هذا بعينه الشاعر الشاعر .. ان لديه طاقات هائلة من المعاني ، ولكن تنتهه الغربة والارتحال » . ولم يدرك بذهن احد ان نهاية الشاعر ستكون في الغربة !.

فتقدم الشاعر « الصوفي » مخطوفا للمل في تدريس اللغة العربية في افريقيا ، ورحل . وجاءت منه رسائل كانت تدل على ضياع اعم واشمل .

ورغم ان روحه كانت تنشد الغربة ، الا انه لم يدرك ماذا يفعل هناك . فاصيب بمرض اضطر بعده لان يقدم على الانتحار ، وقضى في افريقيا وهو لما يتخط بعد عقده الثالث .

والان . ماذا نستطيع ان نقول ؟ اين كان يقف الشاعر « هذا الباسط الصوفي » من أزمة العالم ومشكلة العصر « القلق » ؟

لقد كان الشاعر يمثل القلق نفسه ، هذا القلق الذي لم يدع له العيش في هناء الإبداع وسعادة الخلق الفني .

فقد حبته الطبيعة روحا صغيرة لم تستطع ان تستوعب كبر الحياة وعظمتها ، كان ينشد الانطلاق وكان الانطلاق نفسه السبب في جلب الخائب له ، وكان ينشد الاستقرار ولكنه سرعان ما يمل ذلك .. وكان وكان . ولكنه بالفعل لم يكن يعلم ماذا يريد . فاشتبع نفسه بالسؤال :

« انا ، والشراع ، وتينارتي : غربة وارتحال . »

بعد كل ما تقدم ، نعود مستوضحين :

هل كان لضياع الشاعر « الصوفي » سببا فكريا معنا ، فاضطر لان يهرب من الواقع بعدما لقي من ذلك الواقع السلبية المطلقة ؟

أم انه ليس ثياب القلق والتشرد ليضرب في العالم ارتحالا وليقل عنه ، هذا هو الشاعر ؟

قد نجنع الى القول ان هناك سببا فكريا استطاع ان يسلخ الشاعر عن واقعهم ويبدع يتوقع حول نفسه ، فيشرذم ويلتبس الوحدة والانتواء ، يضيغ الالم ولا يطحنه ان يتغلب عليه .. فقد احس الشاعر ان من حوله لا يستطيع ان يدرك ما تنهو اليه نفسه الشاعرة المرفعة امام تجربة مرة قاسية .. يريد ان ينطلق ليحطم القيود ، ولكن اسلوبا معنا يقيّد تصرفات الانسان ، والشاعر انسان قبل كل شيء . وقد جنحت نفسه الى التمرد .. فكان التمرد اكبر من روحه التي ضاعت من قبضته وهربت .

واير اخر ايضا يثير في نفوسنا التساؤل : التشاؤم . التوالم الوحيد للشاعر « الصوفي » ، لم تكن الحياة بكل صورها ومباهجها ترضيه .. ولم يكن هو نفسه يعرف ماذا يرضيه : « انا ، والشراع ، وتينارتي : غربة وارتحال » .

والحقيقة ، كل الحقيقة التي وردتنا صادقة صريحة من افريقيا ، حيث امام الشاعر . جاعنا في ثلاث رسائل استكثت في القوس كل التساؤلات وبدت نفس الشاعر كما هي .. واستطاع هو هناك ان يرى نفسه بوضوح ويكتشف اشراؤه بلا اصباغ ولا اضاء .

ولكن التجربة ، تجربة كشف الحقيقة ورؤية النفس ، كانت اكبر من ان يستوعبها الذهن ، وذهن الشاعر على الاقرب .

فاذا هو يمرض في افريقيا . وتكون النهاية : نهاية الشاعر ، بيده هو .

في الرسالة الثالثة يقول :

« ... وانا في اعمامي كائن عجوز هرم مريض احمق ، يرتطم الان ارتطاما قاسيا على صخور تجارب وحقائق جديدة . انا الان في بوتقة ، اريد انصهارا كليا لادرك واستطلع قابلية الادراك في ذاتي ، اريد انصهارا كبيرا على الجزء الروحي الذي مررتني .. اريد ان اتمري على صعيد روحي .. اريد رؤيا جديدة حيث لا ضجيج مصطنع ، ولا تصميم مقهور ، ولا التواء للزيف والنفاق .. حيث العراء المطلق الاتهائي ... »

ثم ماذا ؟

ليس امامي الان سوى رسالتين والثالثة ضاعت . ودبوان شعر بعنوان « ابيات ريفية » ! هذا كل ما بقي من حياة واحد في اول القافلة .

وقت للحديث

قصة
قصيرة

بقلم

ابراهيم أصوات

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakura.com>

اشعل الشاب الى عامل المشرب . تقدم العابل وهو
يتحرف بين المناق المعدنية .
وعندما وقف امامها انحنى وابتسم للفئة . قالت :

— « كوكا » .

والتفتت الى الشاب وابتسمت في وجهه ابتسامة
كبيرة . كان وجهه اسمر وعينه داكنتان .
قالت :

— « هيه ، كيف الحال ؟ »

— « عال » .

— « اين انت ؟ » .

— « في الدنيا » .

— « مستحيل » .

— « اذن في الاخرة » .

— لا . حقيقة اين انت ؟ .

— « الا تصدقي انني في الدنيا ؟ » .

— لو كنت في الدنيا كنا رايناك على الاقل .

— كنت ارسل لك السلام معه .

— وماذا كنت تقول له ؟ .

— احضر عامل المشرب زجاجة الكوكا كولا .

وضعها امام الفئة بعناية ، وتراجع الى السوراء
وانصرف . قال الشاب :

اشعل سيجارة ، واسترخى على مقعده قليلا .
كان المشرب هادئا وظليلا في فترة ما بعد الظهيرة
تلك ، وبدا خاليا الا من رجل يدين جلس على مقربة منه
يتصفح جريدته باهتمام ، وامرأة وحيدة انزوت في احد
الاركان البعيدة .

نفض الشاب رماد سيجارته ، وراح يتطلع عبر
الحاجز الزجاجي الكبير ، الى الناس والعربات التي
كانت تروح وتغدو بالخارج في ضوء الشمس ، عندما
دفع المدخل ذو القبض النحاس الالامع ، وبخلت فتاة
في الثامنة عشرة من عمرها او تكاد ، اقتربت من مكانه
وهي تقول بلهجة مريحة :

— « انا آسفة جدا ، تاخرت عليك » .

ووضعت حقيبتها على المنضدة وجلست قبالته .
في نفس اللحظة التي وقف فيها الشاب لاستقبالها وهو
يتأمل عينيها الضاحكتين ويقول :

— « اهلا وسهلا » . وجلس بدوره : « اهلا وسهلا »

خفض الرجل البدين جريدته وورق الفئة من فوق
حافظتها . قالت وهي تجفف وجهها :

— « عندما اتصلت بي ، كنت على وشك ترك العمل
والذهاب الى المنزل . ولكن فضلت الا اتركه عندها
قلت انك تريد مقابلتي » .



ARCHIVE

http://Archivebeta.Sakhril.com

— انا آسف . ازعجتك بالحضور في هذا الجو الحار .
 دفعت براسها لتتنفض بشعرها القصير عن جانبي
 وجها . بدا عنقها طويلا ونحيلا .
 قال وهو يطفىء سيجارته :
 — في الحقيقة هناك مسألة . مسألة هامة جدا .
 زوت ما بين حاجبيها وهي ما زالت محتفظة بالمرح
 في عينها :
 — هل حدث شيء ؟
 ورفعت زجاجة الكوكاكولا الى فيها . كانت المرأة
 الوحيدة تسلم سملا متقطعا حادا . قال :
 — لقد تغير جدا .
 — تغير ؟
 — من حوالي اسبوع وهو يجلس صابنا وقد كف
 عن كل شيء .
 — ما هذا ؟
 — قالوا لي جميعا انه كف عن كل شيء ولا اعرف
 ماذا افعل الان .
 فرد الرجل البدين جريدته على ركبتيه وتطلع الى
 الشاب . رمقه الشاب بجانب عينه فأراح الرجل ذقنه
 على صدره الضيق . لعنت الفتاة شفتيها بطرف لسانها
 .. قالت :

— ولكن ، لماذا ؟
 قال الشاب :
 — ارجوك ، لا ترنعي صوتك هكذا .
 تلفتت الفتاة حولها ، همست :
 — لماذا ؟
 — انه لا يقول .
 — عجيبة !
 — « فعلا » . ونوقف قليلا : « انا اتصلت بك
 بخصوص هذا الموضوع . فكرت ان اجد عندك ما
 يوضح لي الامر » .
 — عندي انا !
 — في آخر مرة تقابلتم فيها ، كان طبيعيا ؟
 رفعت حاجبا واحدا :
 — من اي ناحية ؟
 — اقصد . اقصد لم تلاحظي عليه اي تغير ؟
 — عنيدا نلتقي لا نكف عن الضحك .
 — وهل ضحكنا في آخر مرة ؟
 ارتفعت ضحكة سريعة مكتومة من وراء جريدة
 الرجل البدين . توقف الشاب والتفت ناحيته . طوى
 البدين جريدته وقام مبتعدا بياضته القصيرة وجلس

البقية على ص : ٤٥

من هو شكسبير

موسى

بشكل موضوعي ..

طبعا هناك اساندة يرون ان الضجة كلها زويعا في فنجان .. ولا يرون داعيا للشك او الريبة .. وعليه فهم يقولون بوليم شكسبير كصاحب هذا الاثر الخالد .. ولكن الحقيقة ايضا تقول انه لا يوجد هناك دليل قاطع على ان يكون شكسبير هو مؤلف هذا الحشد الهائل من الروائع المسرحية . ولكنهم جميعا هؤلاء هؤلاء ، لا ينكرون وجود رجل في ذلك العصر يعرف باسم ولیم شكسبير ، وانه كان ممثلا وصاحب مسرح وان مولده كان في مدينة ستافورد — أون — أفون حيث امضى طفولته .. وحيث عاد في اخر عمره ليواريه تراب هذه البلدة كرجل ثري موسر .

ويلمح بعضهم الى ان شكسبير لم يندب عند موته . ، وانه اهل من قبل الاشخاص الذين امتعهم بتمثيله ، كما ان اصقائه في مدينة ستافورد بدوا وكانهم لم يكونوا على علم بشهرة مواطنهم المسرحية .

ومن المعروف ايضا ان احدا من العصر الاليزابي الاول لم يتقدم بادعاء ملكيته لهذه المسرحيات .. ولا حتى شكسبير نفسه .. ولم يظهر اسم شكسبير كمؤلف لهذه المسرحيات الا بعد وفاته بنحو ١٦ عاما .. ولذا فان ذلك لا يقوم دليلا على انه صاحبها .. وكذلك لم يتخرج اناس كانت لهم صلة بشكسبير وبالتالي معرفة اديه في ان يقولوا بان شكسبير هو مؤلف هذا التراث المسرحي المبدع .

بثور الجدل الادبي حول تاريخ كل تراث ادبي

خالد .. فقد ثار حول هوميروس واليانته واوديسته .. وثار جدل حول امرى القيس الكندي .. وثار جدل حول سرقات المتنبي ايضا .. لذلك لم يكن مستغربا ان يثار مثل هذا الجدل الادبي التاريخي حول صاحب التراث المسرحي الخالد — من يكون ؟ هل هو ولیم شكسبير ام انه واجهة اخفى وراء اسمه جماعة من الناس لاسباب خاصة .. هذا ما ساعرض له في هذا التلخيص ..

لقد كان هنا كجدل كبير حول من هو مؤلف المسرحيات والمقطوعات الشعرية الرائعة التي تنسب عادة الى ولیم شكسبير من مدينة ستافورد — أون — أفون في بريطانيا .. وثبتت اسما نحو من خمسين شخصا من اعلام عصر اليزابيث الاولى على انهم هم واضعو هذا التراث .. ونتج عن هذا الجدل الادبي التاريخي الذي اشترك فيه ادباء ومؤرخون من انكلترا وفرنسا وبلجيكا والمانيا وايطاليا والاميركتين والارجنتين وروسيا . نحو ستة الاف كتاب ومقال .. وشكلت جمعيات عدة للعمل على صيانة حقوق من ادعتهم باصحاب هذا التراث الشرعيين ..

ولما كان جميع ما كتب حول هذا الموضوع يميل مع الهوى فانه من الصعب جدا .. بل يكاد يكون مستحيلا ان تقام دراسة له جميعه . لذا فان خير عمل يمكن ان نفعله هو ان نذكر نقاط الخلاف وننظر اليها

سير

ترجمة وتلخيص : فاروق زادة



ولد شكسبير في يوم ٢٦ ابريل ١٥٦٤ وتوفي في مساء يوم ٢٥ ابريل ١٦١٦ .. والداه ليسا له حظ انه حرم من فرصة التعليم ، وانه كان فقيرا .. وكان يعمل في التجارة وان انتقله الى مدينة لندن بسبب انه به بالسرقة .. وعمل ممثلا في مسرح مدينة لندن حتى تمكن بعد ذلك من ان يصبح شريكا في ادارته .. وعند وفاته ترك وصيته لتوزيع امواله ولم يرد في هذه او حتى في غيرها ما يشير الى من تنقل ملكية هذا الحشد من المسرحيات .. والى من يؤول دخولها ..

ومسرحيات شكسبير المعروفة باسمه عديدة .. تنوعت بين الدرامية والمأساة والكوميديا والمسرحيات التاريخية .. نذكر منها على سبيل المثال :
مسرحية روميو وجوليت .. مسرحية الملك لير .. مسرحية مكبث .. مسرحية عاتيل ..

وقيل انه لامر مستغرب ان لا يشار الى مثل هذا التراث الادبي في وصية المؤلف .. ويبرر اصحاب شكسبير ذلك بان المسرحيات هذه تدخل في اتفاقية المسرح المساهم فيه .. ويقول هؤلاء ايضا ان عددا من ادباء ذلك العصر قد لجأوا الى شهرة وليام المسرحية من هؤلاء .. روبرت جرين .. وادموند سبنسر .. وجون ديفز .. وفرانسيس ميريس ..

وقالوا ايضا ان حادثة ١٦٠١ تعتبر دليلا قاطعا

على ان شكسبير هو صاحب هذه المسرحيات .. والحادثة ان الايرل اوف ايسكس اجري مسرحية ريتشارد الثاني على مسرح جلوب ، مؤملا هو والمتأثرون معه ان تثير هذه المسرحية اهل لندن للقيام بمؤازرته في ثورته ضد الملكة اليزابيث .. وعندما فشلت المؤامرة .. واقتيد الايرل الى المحاكمة هو ورفاقه .. ورد ذكر المسرحية كثيرا في المحاكمة .. ولكن لم يرد ذكر لانها شكسبير في المؤامرة ..

لذلك فان مؤيدي شكسبير قالوا لو ان عملاء الملكة عرفوا من هو صاحب المسرحية لقدموه الى المحاكمة .. ولكنهم كانوا يعلمون ان ظهور المسرحية لم يكن الا من قبيل الصدفة في وقت المؤامرة .. ولذا لم تمتد ايديهم الى وليام شكسبير ..

وقال الفريق الاخر .. لو كان شكسبير هو المؤلف للمسرحية لرج به في زمرة المتأمرين وحوكم .. ولكن مع كل ذلك لم يطلب اليه حتى الانصاح عن مؤلفها ..

وفي عام ١٦٣١ أقيم تمثال لشكسبير في بلدته
تخليداً لذكراه .. وكان يمثل كرجل تجارة يضع يده على
كيس من الفضة .. وفي عام ١٧٢٥ عندما عرف أهل
بلدته شهرة مواطنهم .. أزالوا التمثال القديم ووضعوا
مكانه آخر يمثلوه وهو يحمل قلماً ويسطر على ورقة ..
ومع ذلك يقول أعداء شكسبير أن وجه التمثال لا يدل
على وجه نابغة .. بل يدل على وجه رجل غبي ..
ويتبر معارضو فكرة كون شكسبير هو المؤلف ..
عدة نقاط سلبية وإيجابية .. لنظروا أنه ليس في مقدور
رجل شكسبير أن يؤلف هذه المسرحيات والقصائد ..
حيث أنها تدل على علم غزير ومعرفة واسعة بمدن
أوروبا وباللغات الرياضية .. واللغات الكلاسيكية
والأوروبية وكذلك يدل هذا التراث على علم ضخم
بالأمور القانونية وفوق ذلك بحياة البلاط في الدول
الأوروبية ..

وعليه فهم يقولون أن من يستطيع ذلك لا بد وأن
يكون نبيلاً عريقاً .. فان شكسبير تنقصه الخبرة والمعرفة
المطلوبة .. ولهذا أغفل أي ذكر للمسرحيات في الوصية
.. كما أنه لم يدع ملكيتها .. وهو لم يترك مكتبة أو
أهدى كتاباً لأحد مما يوحي بأنه مثقف .. وكما قلنا فإن
هذه الآراء سلبية .. فكتيرون من معاصريه أيضاً لم
يذكروا شيئاً عن تراثهم الأدبي وفي مساياهم ..
ثم قام معارضو فكرة شكسبير كيؤلف بوضع قائمة
تضمنت ١٤ شرطاً يجب توفرها في واضع هذه المسرحيات
.. ولا يوجد هناك شرط واحد ينطبق على شكسبير ..
من هذه الشروط :

- ١ - أن المؤلف يجب أن يكون واسع المعرفة .. غزير
العلم يعرف اللاتينية والأغريقية والفرنسية
والإيطالية وشيئا من علم الفلك ..
 - ٢ - أنه يجب أن يكون شاعراً ممتازاً ..
 - ٣ - أن يكون مغرمًا بالموسيقى ..
 - ٤ - أن يكون على علم بالقانون ..
 - ٥ - أن يكون نبيلًا من أسرة عريقة ..
 - ٦ - أن يكون موقفه نحو النساء مبهماً ..
- من الطريف أن نعلم أن أول من أثار هذه المشكلة
هو جيمس تونلي عام ١٧٥٩ في مسرحية « الحبيبة
الرفيعة تحت السلاسل » .. وانتشرت هذه الفكرة في عام
١٧٨٥ .. ورأى البعض أن فرانسيس بيكون هو من
تعرف عليها ومكانته هو صاحب هذه المسرحيات ..
وفي عام ١٩٥٨ حاول البروفيسور تشرشل أن
يدحض الآراء التي ذكرت .. حول رفض فكرة كـ
شكسبير هو المؤلف .. فقال مثلاً : « إن جميع ما نعرفه
عن البلاط الملكي يعود كله إلى المسرحيات .. لذا فإنه
من الصعب التأكد أن كان حال البلاط هكذا بالحقبة ..

وقال أيضاً صحيح أن المسرحيات اظهرت علماً واسعاً
بالدول الأوروبية والعلوم المتقدمة .. ولكن كذلك ليس
بالإمكان التأكد من أن هذه المعلومات كانت هكذا بالحقبة ..
ومع ذلك لم يحاول البروفيسور تشرشل أن يثبت
بطريقة أو بأخرى أن يكون شكسبير هو المؤلف الوحيد
للمسرحيات .. مع أنه نفى أن يكون صاحبها هو
فرانسيس بيكون .. لما في المسرحيات من أخطاء
مضحكة في القانون لا يمكن لبيكون أن يقع فيها ..

ومن الأشخاص الذين ذكروا كمؤلفين للمسرحيات
.. سير ولتر رايلي لمعرفة الواسعة بالبحار .. ولأنه
أصيب بالمرض .. وذكرت كذلك الكونتيسة بيمبروك لأنها
سيدة متعلمة .. وقد نشرت قصائد عديدة بنوقيمات
بختلته ..

وقيل أيضاً أنه كريستوفر مارلو .. وهو مؤلف
مسرحي شهيد اختفى فجأة وبطريقة سرية عام ١٥٩٣ ..
أي قبل عام من وصول شكسبير إلى لندن .. وكان
يعمل في المخابرات السرية .. وقيل أنه قتل في تلك السنة
.. وقال آخرون أنه تم من بريطانيا بعد أن أودع
مسرحياته لدى سيري توماس ولزنجهام .. وعندما تم
معرفة ولزنجهام عام ١٩٥٥ لم يعثر على ما يؤكد ذلك ..
ولكن الملاحظ أن التشابه كبير جداً بين مسرحيات
شكسبير وتلك التي تعرف بقينا لكريستوفر مارلو ..
وهو رجل مثقف بالتأكد ولكن الشخصية التي كان ينطق
على أنها ملصق على هذه الشخصيات هي شخصية إيرل أوف
إكسفورد .. وذكر أن هناك عدداً من الملاحظات في
المسرحيات تشير إلى .. وهو مطلع تماماً على البلاط
الإيطالي .. وأصيب بالمرض .. وكذلك له ميول إلى
مقاومة الإنكسار .. وهذه من الشروط الأربع عشرة
ولعله بالموسيقى غنى عن التعريف .. وكذلك بالرياضة ..
وأمر المال .. وموقفه تجاه النساء مبهم .. وقد جاء
المدن الأوروبية .. وهو نفسه من المتحمسين للدراما
والشعر ..

وقد يعتبر إير غريب أن إيرل أوف إكسفورد كان
يتقاضى مبلغ ألف جنيه إسترليني سنوياً من المصروفات
السرية ليكتيب وينظم إنتاج المسرحيات كدعاية وطنية ..
وتعتبر شخصية إيرل أوف إكسفورد أكثر
الشخصيات قابلية لتكون مؤلفة التراث الأدبي المعروف
لشكسبير .. ولكننا نعود في الختام إلى قول ابن جونسون
وهو معاصر لشكسبير وغريبه ونده الذي يقول أن
شكسبير هو صاحبها .. (والقول ما شهدت به الأعداء)
.. ولكن يثار هنا سؤال .. ترى هل ابن جونسون كان
مخدوعاً كثيراً من الناس ؟

هذا ولا زالت القضية معلمة لم تصل بعد إلى
نتيجة ..

وَقْتُ الْكَلَامِ (بَقِيَّةُ)

على مقربة من المرأة الوحيدة التي كانت قد كتبت عن
السمال . قالت الفتاة :

— نعم . لا بد أننا ضحكنا .
— في الحقيقة أنا أسف جدا . أزعجتك بهذا الكلام .
— لا شيء يستحق الأسف ، أبدا .
— فكرت أنه حدثك عن شيء يمكنني من فهم هذا
الوضع .

— نحن لا نكف عن الكلام على أي حال .
ارتفع صوت المرأة الوحيدة . التفت الشاب ناحيتها .
كان البدين يحدثها عبر المنضدة . قالت الفتاة :
— تعرف . لا أذكر أننا تقابلنا مرة إلا وتكلمنا عنك .
وهزت أصبعها أمام وجهه :
— وكان يقول لي عنك أشياء كثيرة .
— مثل ؟
— انظر .

همست بها الفتاة وهي تشير إلى امرأة عجوز ضئيلة
الحجم . تقدمت في خطوات ضيقة من منضدة في منتصف
المشرب وجلست إليها . قالت الفتاة وهي تقترب
بوجهها من وجه الشاب :

— سيحضر الجرسون الآن كوبان من شراب الليمون
وسيعضهما أمامها . وستترك هي الليمون . لن تشربه
حتى يحضر رجل عجوز آخر وينضم إليها . أحيانا
يحضران معا وأحيانا تسبقه هي . الجرسون يقول
أنهما لم يغيرا هذه المنضدة من سنوات طويلة جدا .
تعرف ، رايتها بنفسى يرفضان الجلوس إلى أي
منضدة أخرى عندما كانت هذه مشغولة . ويؤوردونها
والتيعت عيناها وهي تواصل همسها :
« رايتها بنفسى » .

التفت الشاب ناحية العجوز التي كانت رافعة
وجهها إلى أعلى . قال :
— أنها عجوز .

— نعم . عجوز جدا . واعتدلت على مقعدها .
وضمت ذراعها العاريين على صدرها :
« المكان هنا هادئ جدا » .
— فعلا .

— كل شيء في الخارج لا تسمع له هنا أي صوت .
— الزجاج . أنه يمنع كل الأصوات .
— مع أنه لم يكن يجبه .
— لم يكن يحب الزجاج ؟
— لم يكن يحب هذا المكان . وتوقفت عن الكلام .
وتغيرت نظراتها ، وتنهدت في عرق :

« صحيح تعودنا أن نتقابل هنا . ولكن بمجرد أن
نجلس حتى كان يقول لي : أن منظر الدنيا بالخارج
يشبه السنيما الصامتة . ويطلب مني أن نقوم . وفي
كل مرة كنت أوافقه وأتوهم معه . مع أنني أحب هذا

المكان . أحبه جدا .

لم يتكلم الشاب . راح فقط يقضم أظفاره بأسنانه .
ومرت فترة من الصمت . قطعنها الفتاة وكأنها تحدث
نفسها :

— شيء غريب .
— قال :
— ما هو ؟

— عندما اتصلت بي . وضحكت : فكرت في شيء .
— مد أصبعه . بدأ يرسم خطوطا في الدائرة المبجلة
التي تركتها قاعدة زجاجة الكوكا كولا . قالت :

— أما زلت تؤلف أغاني ؟
— أغاني ؟

— كان يقول لي دائما أنك تكتب أغاني وتسمعها له .
— أنا لا أفعل ذلك الآن .
— خسارة . ها هو .

وأشارت بعينها إلى عجوز راح يتقدم داخل المشرب
وهو يتكلى على عصاه . ما أن جلس بجوار المرأة حتى
شرعا يحسوان شراب الليمون قبل أن يتبادلا كلمة
واحدة . قال الشاب وهو يتألمها :

— لو مات أحدهما ، لعاش الآخر في مأساة حقيقية .
— أريد أن انصرف .

قالتها الفتاة وتناولت حقيبتها ووقفت . وقف الشاب
بدوره :

— الآن ؟

هزت رأسها بواقعة .

وبينما الشاب في انتظار عامل المشرب الذي كان
يقترب منها ، رأى الرجل البدين مستغرقا في النوم
وجريده بلفاة بين قدميه . والمرأة الوحيدة المنزوية
تدخن سيجارة ووجهها الشاحب منحرف تجساة
العجوزين . دفع الشاب ثمن ما شربا وأسرع وراء
الفتاة التي كانت قد أمسكت بمقبض حقيبتها وراحت
تطوح بزراعها في الفضاء . ووقف على الطوار للحظة
قصيرة هم في خلالها أن يقول شيئا ولكنه لم يفعل .
وبينما هما يعبران الطريق لمسكنها العماري بأطراف
أصابعه وهو يحثها من أمام العربات . وعندما وصلا
إلى الموقف صاحتها :

— إذا أردت أن تتصل بي يمكنك أن تفعل . ماذا
ستركب ؟

— أي شيء . ساركب أي شيء .
صامت وهي تتفكر بخفة داخل العربة الواقفة :
— طيب . سلام .

وعندما جلست وراء الباب نظرت إلى أسفل . وبدا
جانب وجهها. المائل واضحا خلف زجاج النافذة . وقبل
أن توشك العربة على التحرك ، التفتت وابتسمت له
ثم اعتلت . وابتسم لها هو الآخر .

تاريخ المسرح الفرعوني

نكرى بطل محبوب او الله مقدس ، وذلك من خلال عرض مأساته فنرى من خلال العرض الامة وانتصاره ، ونرى في النهاية تفوقه وانتصاره على قوى الظلام والمشر . وسوف نسرده قصة الاله المصري الفرعوني « اوزيريس » لنرى من خلال هذه المأساة ما يمكن ان يسمى الاحساس التاريخي للتثيلية المصرية .

ومن الشواهد القليلة التي لها صلة بهذه الطقوس الدينية مسندت تاريخي يقدر المؤرخون تاريخه بانة يرجع الى سنة ٢٠٠٠ ق.م. وهو عبارة عن ملخص لطقس من الطقوس الدينية ، او حفل من الاحتفالات التي كانت تقام سنويا .

وسوف نسرده قصة الاله (اوزيريس) بشيء من الإيجاز ، ثم نحاول في نهاية هذا البحث ان نلقي الضوء كذلك على بعض الأعمال والطقوس التي كانت تقام ، والتي من خلالها نرى السبات المسرحية في التثيلية المصرية .

ان قصة الاله (اوزيريس) عند قدماء المصريين لا تقل أهمية عن قصة (نوز) عند السوريين و(عشتروت) عند بابل .

وتبدأ مأساة (اوزيريس) عندما تزوج من اخته (ايزيس) على عادة المصريين القدماء كما هو معروف في التاريخ، اذ لا مانع عندهم من ان يتزوج الاخ اخته — وقد اثارت هذه الزيجة حقد الاخ الثالث لها وهو (ست) الذي انتهم فرصة سفسر اخيه (اوزيريس) لبعض البلاد كي يعلم اهله اصول الزراعة ويرشداهم الى بعض العادات الطيبة كما عمل لشعبه وكسب بذلك حبه وتقديره .

وتتلخص مؤامرة الاخ (ست) في انه صنع تابوتا بطقس جسم (اوزيريس) وبعد الاحتفال الذي أعده (ست) لاخته عرض هذه اللعبة لانه جعل هذا الصندوق الثمين لن يكون في مقله ، وبعد ان جربها مع بعض الحاشية ، جاء دور الملك (اوزيريس) الذي اقل عليه الصندوق حين نزل به لقياسه ، ثملقى به في البحر . ووصل هذا الصندوق الى ثغر (بيلوس) في بيروت وبطلان ان ابنة الملك شفيت من مرضها الفضال حين لساها هذا الصندوق ، كما يقال ان شجرة الارز نبت

راينا في العدد السابق ان ملاح المسرحية موجودة بصورة بدائية في رقصات الانسان القديم وفي طقوسه الدينية . ويكتفى الان ان نحدد هذه السمات وان نحصرها فيما يلي :

١ — احساس الانسان القديم البدائي بالناحية المسرحية احساسا عميقا جدا رغم حضارته البدائية ومذنيته الفجة .

٢ — افتقار مسرحياته الى ما يمكن ان نسميه (بالمعقد المركبة) او الى الموضوع المعقد .

٣ — عنايته الفائقة بالرقصات المسرحية (اذا جاز هذا التعبير) لدرجة ان القيثارات القديمة تعتبر المخطيء في الرقص مجرما في حق الالهة وحق القبيلة .

كل هذه الملاح والصفات وجميع هذه الاحاسيس تجاه الرقص المسرحي كان قبل ان يظهر الانسان التاريخي او انسان التاريخ الذي نال قسطا من الحضارة وحصل على درجة معينة من الثقافة الحضارية . ومن الطبيعي ان هذا الانسان يظهر الى المدينة حاملا معه رقصاته وطقوسه ، وكذلك يحمل معه احساسه وتقديسه لها .

ان الذي ينظر في تاريخ الانسانية القديم يجد ان من اقدم الامم التي ظهرت على مدارج التاريخ هي الامة الفرعونية التي سوف نحاول ان نتلمس بعض السمات عندها ، وذلك من خلال اشهر رقصاتها واهم طقوسها الدينية ، مع ملاحظة ان التاريخ لم يحفظ لنا الا الشيء القليل جدا من صور الرقص المصري القديم . وكل ما نعرفه عنه انه كان موجودا. وواسع الانتشار فقط .

ولكننا نجد هناك بعض الشواهد المعاصرة لهذا الرقص ، نجدها تنسب اليها يمكن ان نسميه «المسرحية الدينية» كما في شخصية الاله المصري الاسطوري « اوزيريس » .

الذي يعتبر اهم شخصية في احدي مسرحيات (الامم) التي نجد لها شبيها شديدا لتلك المسرحيات التي لا تزال تمثل في هذا القرن كما هو الحال في مسرحيات « الامم » التي تقام في مدينة (اوبرامرجو) الالمانية وفي بلاد (التبرول) . والذي يعقد المقارنة يجد الصلة وثيقة جدا ، وذلك لان مسرحيات « الامم » القديم منها والحديث تهدف الى غرض واحد هو احياء



كرافت

الغذاء الكامل .. فيتناول الجميع



على الصندوق .

وقد حزنت زوجته (ايزيس) حزنا شديدا لهذا
المصر الذي اصاب زوجها الحبيب وقد بذلت هذه
الزوجة المخلصة كل جهد في ارجاع صندوق زوجها ،
وقد اثار ارجاعه غضب (ست) فابر بتقطع الجثة
(١٤) جزاء وترى بالمكن متفرقة في البلاد .

ولم يضعف هذا العمل من همة هذه الزوجة المخلصة ،
فأخذت تحاول بكل عزم واصرار جمع هذه الاثـلاء
المختلثة ، وقد قامت حرب بين ابن الملك (اوزيريس)
ويدهى (حورس) وبين عمه القاتل (ست) ، وقد
اعلن هذا الاخير الندم في النهاية وطلب العفو والصفح
من (ايزيس) ، ولم يتم الصلح الحقيقي بين الثلاثة الا
على يد وتحت اشراف الاله الاكبر (فتاح) بجعل
اوزيريس اله العدل في الدار الاخرى وبتتويج الاله
(حورس) ملكا لمصر و (ست) ملكا على النوبة .

ومن المعروف ان قصة الاله (اوزيريس) يجري
تمثيلها داخل المعابد القديمة بين الاناشيد الدينية والرقص
الجباي . ولكن كيف كان يتم عرض هذه الهاساة وكيف
تمثيلها فهذا شيء لا يمكننا الجزم به ، ولكن هناك بعض
الشواهد **المعاصرة** لهذه الهاساة يمكننا ان نستفيد منها ،
ولو بصورة تقريبية في اللقاء بعض الضوء على كيفية
عرض هاساة (اوزيريس) .

لان هذه الشواهد في الواقع تعطينا خلاصة حفل
او طقس ديني كان يقام في كل مدينة مصرية ، وذلك مثل
ما يطلقون عليه اسم (تمثيلية التتويج) وهي تتألف من
(٦٦) منظرا ، وهي تقدم في موضوعها كيفية تتويج احد
الملوك الفراعنة ، وهذا يعني ان المسرح المصري القديم
لم يعالج شؤون الناس المعادين ، او بمعنى اخر انها
لم تجعل من الانسان العادي مادة لموضوعها . كما نرى
ان احداث المسرحية توصف وصفا تدريجيا وتجري
الاحداث من مكان الى اخر ، وهذا يعني في النهاية
نقدانها لما يسمى بوحدة المكان . كما اننا يمكن ان نقول
بناء على ما في هذه الشواهد المسرحية ، او هذه
الشذرات التمثيلية ان المسرحيات كانت تتفاوت بين
المسرحية اليمانية الخالصة ، وبين المسرحية المركبة او
المعارك الحربية المصطنعة التي نرى من خلالها ان
المسرحية لا تزال متداخلة تداخلا كبيرا بالحياة الفعلية .

عزيزي القارئ

هذا ما يمكننا كتابته عن المسرح الفرعوني القديم ،
فان كان فيه بعض النقص او الغموض فهذا راجع الى
قلة ما لدينا من مراجع ، فنرجو العذرة .

وستقدم في لقاء قادم ان شاء الله البداية الحقيقية
للمسرح ، الا وهو المسرح اليوناني .

عبد الله عتيبي
بلال عبد الله